

عنصر الحمق في أهاجي جرير

بقلم : أحمد الخصوصي

يعدّ جرير «أحد شعراء الهجاء الثلاثة الأعظم شأننا زمن الأمويين»⁽¹⁾، ومن بين الأدلة التي يحتج بها عامّة النقاد على ذلك أنّه «كان ينهشه ثلاثة وأربعون شاعرا فينبذهم وراء ظهره ويرمي بهم واحدا واحدا»⁽²⁾ حتّى افترض جميع من تعرّض له وسقط⁽³⁾ ولم يثبت له إلّا الأخطل والفرزدق⁽⁴⁾ إذ كانا من نجاره فظلّ ثلاثتهم يتصاولون⁽⁵⁾ تصاول القروم وقد خلت لهم ساحة الهجاء.

ولا شكّ أنّ جريرا توسّل بوسائل مختلفة⁽⁶⁾ ليقصي خصومه استخفافا⁽⁷⁾ وتحقيرا⁽⁸⁾ وإرداء⁽⁹⁾، ولا شكّ أيضا أنّه استثار المعاني الهجائية من مراقدها بحثا ونبشا فعيّر شائنيه بوضاعة النسب ووصمهم بمستقبح الأفعال ومستهجن الأخلاق. على أنّ من بين العناصر التي تضمّنها شعره وحفلت بها أهاجيه عنصر الحمق⁽¹⁰⁾ وما يدخل في حقله من الدلالات المختلفة⁽¹¹⁾ فما هو المدى الذي وصل اليه هذا العنصر وما هي الصّور التي خرج فيها المهجوت فردا كان أو جماعة وما هي الأساليب التي اعتمدها الشّاعر أثناء هجوه لخصومه ؟

لقد تخلّلت معاني الحمق⁽¹²⁾ رداءه الديوان⁽¹³⁾ وتردّدت أوجه النّوك في أرجانه⁽¹⁴⁾ وتجلّت مظاهر الفدامة في غير ما موضع من قصائده الهجائية⁽¹⁵⁾، منها ما تعلّق بعدد من القبائل⁽¹⁶⁾ ومنها ما اتّصل بمجموعات من الأفراد⁽¹⁷⁾ ومنها ما رمي به أشخاص بأعينهم⁽¹⁸⁾. على أنّ شاعر بني كليب شغل نفسه بقبيلة مجاشع⁽¹⁹⁾ وأخذها بمنافسه الفرزدق⁽²⁰⁾ فخصّهما بمعظم ما وقع عليه - في هذا المجال - من المعاييب على سبيل التّنقير حيناً⁽²¹⁾ والاختراع حيناً آخر⁽²²⁾.

غير أنّه لا مطمع في أن يقع المرء على صورة للمهجوّ وقد ارتسمت دفعة واحدة واستقامت مكتملة العناصر متّضحة المعالم، وغاية ما يطمح اليه الطّامح واقعياً - في هذا المقام - هو أن يتتبّع - في تدرّج - ملامحها وهي توزّع بمقادير متفاوتة على مستويات مختلفة قائمة على الحقول الدّلالية المتاحة⁽²³⁾.

ولعلّ أقوم المقاربات⁽²⁴⁾ التي تساعد على الإحاطة بالصّورة المشار إليها تحديدا لجوانبها وإبرازا لسماتها تتمثّل في أن ينحو المراء منحى قوامه الانطلاق من المظاهر المحسوسة والارتقاء درجة بعد درجة الى مجالات فيها انصباء من التجريد فيبدأ بفحص الشّكل الظاهري لما يوقره من أوصاف كاشفة ويقدمه من هيئات ناطقة ثم يشق غمار الحقل الاجتماعي مستثيرا ما يزخر به من أنواع المعاملات الدّالة ومظاهر السّلوك الموحية. وما هي إلّا أن يرتقي صعدا الى ميدان الفكر ومجال الأخلاق⁽²⁵⁾ مستكشفا ما محض من تقويمات وخلص من أحكام.

إنّ أوّل ما يظهر من المهجوّ هيئة مضطربة في الجملة، يمثّلها - حيناً - غلظ في الخلقة وقصر في القامة والرقبة⁽²⁶⁾ ويجسّمها - حيناً آخر -

بدن قصير الأطراف⁽²⁷⁾ نحيف الهيكل دقيق العظام⁽²⁸⁾ فالضلوع بادية⁽²⁹⁾ والشحم منتزع والمخ رقيق ذائب قد استحال - لسيلانه وفساده - ماء أسود رقيقا⁽³⁰⁾. يقول جرير في حال مجاشع وخلقتها الطويل :

ويفايشونك والعظام ضعيفة والمخ ممّخر الهنانة رار⁽³¹⁾
ومثل هذه العيوب الخلقية - في مجملها ومفصلها - معدودة من
أمارات الحمق التي قلّما تخطئ، ذلك أنه لا يمكن - في منطق العرب
المستند الى الملاحظة والاختبار - لهياكل على هذه الصور⁽³²⁾ أن تتسع
لعقول شريفة، ولا يجوز لبنى بهذا الضعف والضعوى⁽³³⁾ أن تقوى على
أعمال مذكورة سواء منها ما اتصل بالأجراء أو تعلق بالتمثل.

والشاعر خلال وصفه لما بدا من خلقة مهجوة لا يقنع بالنعت العابر
ولا يرضى بالإعلان الخاطف عن الضعف المشار اليه، بل يسعى الى أن
يصوره تصويرا بينا تدركه الحواس ويجتهد في أن يجعله جسما مجسما
تلمسه يد اللّمس فيتخيّر صورا من النبات معلومة ويتجود من الشجر
أقله صلابة وأكثره تكسرا، فالخصوم أشبه ما يكونون بالبروق ضالة وخفة
وهشاشة وضعفا⁽³⁴⁾ هم أنا كالقصب الهاوي الأجواف⁽³⁵⁾ الضعيف
المكاسر⁽³⁶⁾ وآونة كالعشر⁽³⁷⁾ خور عيدان وسرعة تقصف، ناهيك أن
الخيزران والخروع - على لينهما وتثنيهما ورخاوتهما - أمتن منهم
وأقوى⁽³⁸⁾، وقد يذهب جرير في بعض الأحيان مذهبا أبعد مدى فيظهر
صغر أحجام مناوئية وخفة أوزانهم ويبرز ضالة شأنهم المادي وما اليه،
وما هي إلا أن يأتي عليهم دقا حتى يخرجهم في صورة المسحوق الذي
ما إن ينفخ حتى يطير في الفضاء كالهبات المتناثرة. يقول الشاعر منبها
الغافل عن حقيقة مجاشع البسيط :

لَا يَخْفَيْنَ عَلَيْكَ أَنَّ مُجَاشِعًا لَوْ يُنْفَخُونَ مِنَ الْخُؤُورِ لَطَارُوا⁽³⁹⁾

والواقع أنّ الصّور التّجسيمية السّابقة الذّكر لا تطفح بضالّة المهجّوين البدنيّة فقط ولا تزخر بأشكالهم البادّة المضطّربة فحسب بل تتجاوز ما بدا من قبح الخلقة وحقارة أمرها لتؤدّي معاني الوهن والكلال والعجز بمختلف أبعادها⁽⁴⁰⁾. على أنّ أغلب هذه المعاني يدور عموماً على عبارات غدت بحكم تردّدها المتواتر⁽⁴¹⁾ بمثابة المحور وقد جمعت بينها مادة «خَوَر» بمختلف صيغها الصّرفيّة الحاملة لأوجه المعنى المصوّرة لمختلف مظاهره، وقد لزم معنى الخور قبيلة مجاشع لزوماً جعله يرتقي من مستوى الدّلالة اللّغويّة الى مستوى قريب من الدّلالة الاصطلاحية، فما إن تذكر مادة «خور» - أيّا كانت الصيغة التي أفرغت فيها - يتبادر الى ذهن المرء أحد العيوب اللاّحة للقبيلة المذكورة آنفاً حتّى لكان هذه المذمّة لائحة بها مقصورة عليها. ولا غرابة في ذلك لأنّ هذه النقيصة متمكّنة من العنصر راسخة في الطينة وكأنّها صفة وراثيّة تناقلها الأبناء عن آبائهم⁽⁴²⁾ وأمهاتهم⁽⁴³⁾.

غير أنّ صورة الضّعف ليست الصّورة الوحيدة التي يخرج فيها المهجّو، إذ يكون مظهره مخالفاً لما تقدّم بل معاكساً له تمام المعاكسة، فالرجل يبدو من خلال القصاد ضخماً ثقيلاً⁽⁴⁴⁾ عريضاً منتفخ الجنبين⁽⁴⁵⁾ كبير البطن⁽⁴⁶⁾ كثير اللحم⁽⁴⁷⁾، وتبدو المرأة كذلك ضخمة كثيرة اللحم مسترخية⁽⁴⁸⁾ ولا يخفى أنّ مثل هذه الصفات كافية بذاتها للدّلالة على حمق من يتّصف بها⁽⁴⁹⁾ خاصّة إذا استحال البدن كتلة من اللحم مترجرجة اقتلعت منها الضّلوع⁽⁵⁰⁾ وانتزعت منها العظام. يقول جرير في صفة المجاشعيّ [الوافر] :

مَتَى تَغِيْزُ ذِرَاعَ مَجَاشِعِيٍّ تَجِدُ لَحْمًا وَلَيْسَ عَلَى عِظَامٍ⁽⁵¹⁾

ولا شكّ أن للصّورة المتقدّمة دلالات خاصّة، ففضلا عما يبدو عليه مثل هذا الضّخم البادن من شناعة هيئة وقبح مظهر فإنّه إذ يمتلئ جسمه وتتروى عظامه وينتفخ جوفه ويكثر لحمه يبين ثقله وتقل حركته ويظهر بطؤه ويضعف نشاطه على الرّغم مما يتطلبه البدن من كثرة ما يأكل صاحبه ويشرب، وكأنّه كلّما امتلأت معدته نامت فكرته وخرست حكمته وقعدت أعضاؤه عن الهبوب الى المصالح⁽⁵²⁾ فأعرض عن الانبعاث مع القوم إذا دعتهم الى الانبعاث الدّواعي وأحجم عن النهوض لمهمّات الأمور التي يقتضيها ما يطرأ من ظروف تعجّ بها حياة العرب الاجتماعيّة. وعلاوة على ذلك فإنّ في ضخامة الجسم وثقله المادّي ما يوحي بشغل الرّوح⁽⁵³⁾ ووخامة الطّلبة. ومن الطّبيعيّ ان تزداد الصّورة تشوّهًا عند ما يقترن الثّقل بفترة وكسل ورخاوة تصل غالبا الى حدّ الميوعة والانحلال والفساد قد تشمل مجمل البدن وقد تتعلّق ببعض أجزائه أو أعضائه.

ويعمد الشاعر - دأبا على عادته - الى تجسيم الأوصاف التي يسم بها خصومه فيرغب هذه المرة عن حقل النباتات ويقبل على صور من الحيوانات معينة يتجوّد بها محملا لمعايب شائنيه مناسبا وتعبيرا عن نقائص خصومه أليفا، فما هم إلّا ضباع ذليلة آكلة⁽⁵⁴⁾ أو إبل سمينّة سالحة⁽⁵⁵⁾ أو براذين ضخمة متقاعسة⁽⁵⁶⁾ أو أثوار متدلّية الغباغب⁽⁵⁷⁾، وذلك لفرط ما يستهلكون وشرّ ما يأكلون، فهم مجرد عساريط يخدمون على طعام بطونهم⁽⁵⁸⁾ يأكلون من الأطمعة أخبثها كالخزير⁽⁵⁹⁾ ومن ذبائح الإبل شرّ ما فيها كالفراسن المشوية⁽⁶⁰⁾ والأيور⁽⁶¹⁾ الموضوعّة على الحساء.

ولا شكّ أن مظهر الضّفّة⁽⁶²⁾ - إذ تثقل وتسترخي وينتفخ جنبها ويكثر لحمها - ينمّ عن قلة العقل وغلظ الحسّ، ولا شكّ أيضا أن هيئة

المبطان⁽⁶³⁾ الكثير الأكل الذي «لا يهتم إلا بطنه»⁽⁶⁴⁾ تدلّ على ذهاب الفطنة وكساد العقل على غرار ما تؤكّده بعض الأمثال⁽⁶⁵⁾ غير أنّ ما يوحى بالحماقة المستحكمة لا ينبثق من المظاهر البدنية فحسب بل يتراءى من خلال سياقات محددة تحمل معاني مصاحبة بليغة التعبير، فالمهجّو يبدو أنوك مغفلاً بمجرد أن يشبّه بالضيع في الحركة والتصويت⁽⁶⁶⁾ باعتبار «أن الضيع من أحقق الدواب»⁽⁶⁷⁾ أو بمجرد أن يقرن بالثور، ذلك أن العرب تقول للرجل البليد الفهم «ما هو إلا ثور»⁽⁶⁸⁾.

ومن عجب أن جريرا - عندما يتناول بدن المهجّو تناول المصوّر - يخرج به عن حدود الاستواء ويعدل به عن ضوابط التماسك والاستقامة. فيحجب مجمله ويختزله في عضو أو عضوين ولا يري منه للناظر إلا بطنا أكالة مقبقة⁽⁶⁹⁾ أو استا سلاحة مصوّة⁽⁷⁰⁾ ويظهر المهجّون غير قادرين على أن يحبسوا ما في أجوافهم شأن الإبل السّمان الشاربة للملح الماء⁽⁷¹⁾ أو الأكلة لحامض الأعشاب⁽⁷²⁾ كما يبدو - رجالا ونساء - غير متحكمين في أعضائهم في ما تفرز⁽⁷³⁾ وتصوت⁽⁷⁴⁾، ومثل هذه الأصوات المنكرة المترددة وتلك الأفعال القبيحة المتكررة لا تلبث - بحكم تواترها واطرادها - أن ترتقي في سلم التّمحّض والإصطلاح الى أن تصبح أسماء معلومة لآباء وأمهات، فالأب جيثلوط⁽⁷⁵⁾ والأم خضاف⁽⁷⁶⁾ وخيصف⁽⁷⁷⁾.

وقد يذهب الشاعر أحيانا في تقبيح خلقه الخصم وتشويه صورته مذهبا عجيبا فيجعل تكوينه غريبا وبنيته مضطربة حتى أنّ حجاب⁽⁷⁸⁾ جوفه مشقوق تالف وكأنما خلق على غير مثال البشر، يقول جرير الوافرا :

فَلَا تَفْخَرْ وَأَنْتَ مُجَاشِعِيٌّ نَخِيبُ الْقَلْبِ مُنْخَرِقُ الْحِجَابِ⁽⁷⁹⁾

ولا يلبث هذا الاضطراب أن يتجاوز بنى الأعضاء ليدرك وظائفها، فتختلط مثلاً عمليتا الوضع والذهاب الى الخلاء، وحتى إذا قدّر للمرأة المجاشعية أن يخرج ولدها ميسر الولادة مستقيماً فإن أكلها الخبيث - وهو الخزير - يسبق السّابياء، وهي المشيمة التي تخرج مع الولد، يقول الشاعر في ذلك [الطويل] :

إِذَا طَرَقَتْ يَنْخُوبَةٌ مِنْ مُجَاشِعٍ أَتَى دُونَ رَأْسِ السَّابِيَاءِ خَزِيرُهَا⁽⁸⁰⁾

وما هي إلا أن ينتقل جرير - بعد إظهار الخلل العضوي وإبراز الشذوذ الوظائفى - الى استنتاج أكثر خطورة وأشدّ وقعا على المهجّوين، فالواحد منهم خنثى هجين التركيب، لا هو رجل صريح ولا هو امرأة خالصة، وفي مثل هذا المعنى يُسائل جرير خصومه مساءلة الحاجة والاستغراب والتعجيز قائلا [الطويل] :

أَتَعْدِلُ يَرْبُوعًا خَنَائِسِي مُجَاشِعٍ إِذَا هَزَّ بِالْأَيْدِي الْقَنَا فَتَزَعَزَعَا⁽⁸¹⁾

وهكذا فالواحد منهم عديم الفحولة وحتى إذا شبهه الشاعر بالحيوان اختار من الدّواب هجينها وخصّيتها، يقول جرير في عدوّه البعيث وهو يصف قيشه ويصور تفجّه [الطويل] :

يَقِيشُ ابْنُ حَمْرَاءِ الْعِجَانِ كَأَنَّهُ خَصِيُّ بَرَادِينَ تَقَاعَسَ فِي وَحْلٍ⁽⁸²⁾

ويبلغ عبثه بخصمه مبلغاً يجعله خلقاً مركباً ممسوخاً نصفه الأعلى نصف رجل وشطره الأسفل شطر امرأة، له من الرّجال اللحية ومن النساء الحرّ، والشاعر - عندما يخبر عن المجاشعيّ - يقدّمه تقدّماً ظاهرياً، لكنّه سرعان ما يجردّه من أثوابه، ويكشف باطنه ويبرزه عاري العورتين ويجعل رجولته مجرد مظهر يزول بزوال اللبس، يقول في المجاشعيّ وهو في نظره من لا قوّة له ولا خير عنده إلاّ ضخامة الجسم وثقل الحركة [الكامل] :

تَلْقَى ضِفْنٌ مُجَاشِعٍ ذَا لِحْيَةٍ وَلَهُ إِذَا وَضَعَ الْإِزَارَ حِرَانٍ⁽⁸³⁾

ويعنّ له في بعض المواطن أن ينفي عن قبيلة مجاشع كلّ رجولة أو فحولة ويجعل من تينك الصفتين الأساسيتين مجردّ مشابه زائفة لا يلبث أن ينكرها إنكار المنبه المؤكّد فيقول [الكامل] :

لَا يَخْفَيْنَ عَلَيْكَ أَنَّ مُجَاشِعًا شَبَّهُ الرَّجَالَ وَمَا هُمْ بِرِجَالٍ⁽⁸⁴⁾
وواضح أنّ الصفات المتقدّمة بما فيها من رخاوة وميوعة وانحلال وتختّ هي مظهر معلوم من مظاهر الحمق تؤدّيه بعض أسماء الأنوك المائق مثلما تشهد بذلك عبارتا دُعْبُوب⁽⁸⁵⁾ ودُعْبُوث⁽⁸⁶⁾ الدّالّتان تحديدا على معاني التّختّ وما إليه .

ومن الصّور المائلة أيضا، ما يعكس معاني الغلظة والجفاء فمهجوّ جريّر أعشى كثير شعر الوجه والرأس، ينطق مظهره بالسّماجة والقبح والاندفاع والقذارة ويوحى بالعجمة والتّوخّش وقلة الفهم وضعف الحسّ حتى لكأنّه دابة من الدّواب جافية لا تأنس بأحد ولا يسكن إليها أحد، يقول الشاعر في بعض مشنونيّه [الكامل] :

صَادَفَ مِنْهَا مَلَقَحًا وَمُنْتَجًا فَوَلَدَتْ أَعْشَى ضَرُوطًا عُتْبَجًا⁽⁸⁷⁾

وإذا أراد المرء تقريب صفات هذا الشّخص من صفات بعض الحيوانات وجدها أدنى ما تكون من مظاهر الضبع إذ يقال لها عثواء، فضلا عن أن الشّاعر قد شبّه خصومه بها في قذارة مأكّلها⁽⁸⁸⁾ ومنكر أصواتها⁽⁸⁹⁾ .

أمّا إذا أعرض الملاحظ عمّا يلمح من ظاهراهيئات وطرق مجال الحركات نظرا وتتبعاً فإنه يُلفي المهجوّ يمشي مشي القصار إذ يحركون

اكتافهم⁽⁹⁰⁾ ومن بين من مشى مثل هذه المشية وعبر بها الفرزدق، فقد وصفه خصمه الكليبي بأنه وزواز⁽⁹¹⁾ أي أنه خفيف المشي يقارب خطوه ويحرك جسده ويوزوز استه إذا مشى يلويها⁽⁹²⁾ قال جرير يصف عدوه اللدود وصف التهجين والتحقير الطويل :

لَقَدْ وَلَدَتْ أُمُّ الْفَرَزْدَقِ فَاجِرًا وَجَاءَتْ يَوْزَوَانٍ قَصِيرِ الْقَوَائِمِ⁽⁹³⁾

وليست مثل هذه الحركات مقصودة لذاتها بقدر ما هي مقصودة لما تشي به وتنم عنه من خفة الحلم وطيش العقل⁽⁹⁴⁾ وهما من مقومات الجهل والسفاهة والحمق. على أن هذه النقائص المتصلة بمجالى الإدراك والأخلاق في الوقت ذاته لا يقف عليها الواقف من خلال الحركات المعبرة فحسب بل يستكشفها بمجرد أن يلتفت الشاعر الى مهجوه ويستعرض صحيفة لبه ويظهرها للناس إظهار الكشف والفضح فإذا الخصم نثار ميمار⁽⁹⁵⁾ مفرط في الحديث ينثر كلامه نثرا⁽⁹⁶⁾ ويخلطه تخليطا⁽⁹⁷⁾ وإذا هو عجاج⁽⁹⁸⁾ صياح يخرج ما ينطق به عن حدّ الكلام ويدخل في عداد الاصوات التي تذكر بالمقاطع إذ ترسلها البهائم العجماء لغوا مبهما. وفي هذا المقام أيضا، ينحو جرير - على عادته - منحيين متكاملين وإن اختلفت وجهة كل منهما، فهو من ناحية يعتمد في تصويره للنقائص الى تجسيمها بتجسيما حسيا، فيطرق عالم الحيوانات ينتقي من أصواتها ما يلانم صياح المهجوين وعجمتهم، وإذا هم مجرد إبل مقبقة⁽⁹⁹⁾ أوضاع راغية⁽¹⁰⁰⁾ أو ثيران خائرة⁽¹⁰¹⁾، وهو من ناحية ثانية يحض الصفات الذميمة ألقابا تقوم مقام الأسماء، لكن على سبيل النبز والذم واللمز، فإذا التخوار⁽¹⁰²⁾ أم بني مجاشع مثلا، وإذا أبوهم قبقب⁽¹⁰³⁾ أو رغوان⁽¹⁰⁴⁾ أو قباقب⁽¹⁰⁵⁾ ولا غرو في أن يكون الواحد من هؤلاء جامعا بين الهذر

والصّاح من جهة والعيّ والعجز من جهة أخرى، فالحمق بطرفيه المختلفين لاحم للتكوين سار في العنصر متوارث من الوالدين. إذ الأب عبد لئيم والأمّ أمة واهية. قال جرير هاجيا خدّاش بن بشر المجاشعي المعروف بالبعيث [الرجز] :

مُقَابِلَ بَيْنَ شُرَيْحٍ وَأَخْجَا مَعْلَهَجَيْنِ وَلَدَا مَعْلَهَجَا⁽¹⁰⁶⁾

ولا يقلع الشاعر عن وصف أصوات خصومه وتقويم منطقهم إلّا لينفذ الى ما هو أعمق ويقع على ما هو أوجع فيرقى الى مصدر الكلام ويطرق مجال المدارك، فإذا العقول كدرة غير صافية وإذا المهجّون جهلة⁽¹⁰⁷⁾ نوّكى⁽¹⁰⁸⁾، وللجهل في مثل هذا المقام معنى محدد إذ هو الحمق ذاته⁽¹⁰⁹⁾، أمّا مفهوم النوك فهو أشدّ وأنكى لا باعتبار مفهومه فحسب بل بالنظر كذلك الى دلالة الصيغة الصرفية التي سكب فيها ذلك المفهوم، فالنوك كما ورد في مختلف المعاجم اللغوية مرادف للحماقة بما تعنيه من جهل وعياء وعجز⁽¹¹⁰⁾. أمّا البنية التي جاءت فيها صفة النوك فهي - إذ تستنطق في ذاتها - تدلّ على ما هو أوجع للمهجّو وأشقى للهاجي لأنّها تنقل العيب من مدار النقائص الذميمة الى مدار المصائب الجليلة، ذلك أنّ لفظة نوّكى بنيت عند الجمع على فعلى، وكلّ ما بني على هذا الوزن ينمّ عن آفة تصيب الأبدان أو العقول⁽¹¹¹⁾ يقول سيبويه معلقاً على صيغة هذا النوع من الجموع : «أجري مجرى هلّكى لأنّه شيء أصيبوا به في عقولهم»⁽¹¹²⁾.

ومن شأن مثل هذه المصيبة النائلة من المدارك أن تؤذي من ألصقت به أذى بالغاً خاصة وقد وقر في أذهان العرب أنّها عبارة عن داء مزمن لا يرجى له شفاء. قال قيس بن الخطيم في هذا المعنى وقد استشهد به صاحب اللسان في شرحه لمادة «نوك» [الوافر] :

وَدَاءُ الْجَسْمِ مُلْتِمِسٌ شِفَاءً وَدَاءُ النَّوْكَ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ⁽¹¹³⁾

ويسعى جرير - وهو يهجو خصمه - الى تقريب معنى الحماقة
المتكئة منه، فيعمد - على سبيل التمثيل - الى أن يقرن شخص مشنونه
بشخص أحق الحمقى، فإذا بصفيح الرياحي - وهو أحد مناوئيه - في
الحق مثل هبنقة القيسي وهو رجل من بني قيس بن ثعلبة يقال له يزيد
بن ثروان ويلقب بذي الودعات⁽¹¹⁴⁾ ويضرب به المثل في الغفلة
والبلاهة⁽¹¹⁵⁾. يقول جرير معيّرا صفيحا [الوافرا] :

هَبْنَقَةُ الَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ وَمَا جَعَلَ السَّقِيمَ إِلَى الصَّحِيحِ⁽¹¹⁶⁾

وما هي إلا أن يعود الشاعر الى نهجه المألوف يتبعه فيشتق من
الصفات التي يصف بها أعداءه أسماء على سبيل الذم والتعير ويصطفي
منها ألقابا على سبيل التهجين والتبذير⁽¹¹⁷⁾، فإذا بنو مجاشع لا ينسبون الى
اسم أبيهم المعروف أصلا بل ينسبون الى لقب افتعله جرير تسمية
وصياغة⁽¹¹⁸⁾، فإذا هم بنو وقبان⁽¹¹⁹⁾ وإذا باسم أبيهم المستحدث إذ يتردد
تردد المصطلح المعهود⁽¹²⁰⁾ شعار للغثارة وعنوان للرقاعة⁽¹²¹⁾، ولا غرابة
في ذلك، فالأب وقبان⁽¹²²⁾ يورث نسله الجهل والخرق، والأم وقبي⁽¹²³⁾
تسقي عقبها من النواكة والعجز ما يجعل القلوب تتروى والأذهان
تتشيع. يقول الشاعر هاجيا رهط الفرزدق [الطويل] :

أَلَا إِنَّمَا جَرَّتْ عَلَى خَوْفِ مَالِكٍ قُلُوبٌ تَسَاقِينَ النَّوَاكَةَ وَالْجَهْلَ⁽¹²⁴⁾

على أن جريرا - وهو يتعقب خصومه - لا يفرط في أدنى مظهر
من مظاهر الحق يبرزه ويستثمره وإن كان آتيا عابرا، ولا ينزع عنهم
بل ينعتهم بالجهل⁽¹²⁵⁾ وخفة الأحلام⁽¹²⁶⁾ والسفاهة⁽¹²⁷⁾. غير أن هذه

الوجوه من سفه الآراء⁽¹²⁸⁾ ليست مطلقة بل محدّدة بظروف معلومة إذ تتمثل خاصّة في أنّ الأعداء يتوهّمون ما لا يكون ويطمعون في ما لا يرجى، ذلك أنّ بعض الشعراء يحاول مطاولة الشاعر الكليبي والاحتكاك به فيردّ عليه ردّ الساخر المحقّر مثلما فعل بالأخطل التغلبي إذ يقول فيه [الكامل] :

وَرَجَا الْأَخِيطِلُ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ مَالَمْ يَكُنْ وَابٌّ لَهُ لَيْتَالَا⁽¹²⁹⁾
 أمّا بعضهم الآخر فيسعى الى مفاضلة قوم جرير فيؤول العمل عبثا ويذهب المجهود باطلا، يقول شاعر بني يربوع واصفا مآل عملهم الخاسر [الكامل] :

إِنْ كُنْتَ رُمْتَ مِنَ السَّفَاهَةِ عِزَّنَا تَبْغِي الْفِضَالَ فَقَدْ وَجَدْتَ فِضَالَا⁽¹³⁰⁾
 وقد يحدث ان يهزأ بعدد من القبائل والعشائر كالتيّمين⁽¹³¹⁾ ومجاشع⁽¹³²⁾ وطهية⁽¹³³⁾ خاصّة إذا دفعت الى حلبة السباق بشعراء لا يراهم من نجاره⁽¹³⁴⁾ فكانت كالمراهنة على كوادن حطمة وحمير كليلة وخيول خاسرة. يقول شاعر بني كليب في قبيلة تغلب وقد راهنت على شاعرهما الأخطل [الوافر] :

لَقَدْ سَفِهَتْ حُلُومُهُمْ وَأَجْرُوا مَعَ الْمَسْبُوقِ حَيْثُ جَرَى الْمَلِيمُ⁽¹³⁵⁾
 ويقول في مجاشع وقد خفّت أحلامها وطاشت سهامها وأخطأت الصّواب حين اختارت البعيث منافحا عنها [الطويل] :

لَيْسَ رَاهَنْتُ عَدُوًّا عَلَيْكَ مُجَاشِيعٌ لَقَدْ لَقِيتُ نَقْصًا وَطَاشَتْ حُلُومُهَا⁽¹³⁶⁾
 أمّا عندما يتعلّق الامر بعدوّه اللدود الفرزدق فيسلك تجاهه سبيل التجاهل والتهزّل⁽¹³⁷⁾ ويخصّه برسم ساخر في غاية اللّذع والإيذاء

والإهانة ويخرجه في صورة القرد القبيح الحقير ذي الحركات الباعثة على الضحك وهو يحاول يأسا وعبثا مصالوة فحل جمال لم يركب ولم يذلّ فيقول الطويل :

أَمِنْ سَقِيهِ الْأَحْلَامِ جَاؤُوا بِقِرْدِهِمْ إِلَيَّ وَمَا قِرْدٌ لِقِرْمٍ يُصَاوِلُهُ⁽¹³⁸⁾

وقد لا يقنع الشاعر بإعلان ما اتّصف به مناوئوه من سفاهة رأي بل يعتمد الى تحديد مظهر تلك السّفاهة ويجتهد في إبرازه إبرازا مجسّما، فهذا يحيى بن عقبة الطّهوي يجعل قبيلته تقف من جرير موقفا يعرّضها للهلاك والتلف. يقول في تعرّضها للبوار وقدرته على الفتك مازجا بين الهجاء والفخر مزجا حميما [الكامل] :

حَلَّتْ طُهْيَةٌ مِنْ سَفَاهَةٍ رَأَيْهَا مِنْي عَلَى سَنَنِ الْمِلْحِ الْوَابِلِ⁽¹³⁹⁾

والعجيب أن موقف هذه القبيلة - وهي تقعد في طريق المياه الدّقاقة الجارفة - تذكر تذكيرا قويا بصورة «البقلة الحمقاء»⁽¹⁴⁰⁾ وهي تلك الرّجلة التي يضرب بها المثل في الحمق⁽¹⁴¹⁾ «لأنّها تنبت في مجرى السّيل»⁽¹⁴²⁾ فما هي إلا أن يستأصلها الماء الدّقاق قلعا ويدحرها جرفا.

على أنّ هذه السّفاهة التي تبدو للوهلة الأولى ظرفيّة عابرة لا تلبث - بفعل تواترها وحكم ترددها - أن تضحي مؤالفة للعنصر ملازمة للتركيب، وإذا هي خفّة أحلام هيكلية يجدّد الشاعر في إقرار وجودها ويجتهد في تأكيد تمكّنها. يقول في هذا المعنى معيّرا مجاشعا ثالبا شاعرها [الكامل] :

مَهْلًا فَرَزْدَقُ إِنَّ قَوْمَكَ فِيهِمْ خَوَرُ الْقُلُوبِ وَخِفَّةُ الْأَحْلَامِ⁽¹⁴³⁾

وكأنّما اعتبر مثل هذه المثلبة نافذة مؤثرة شديدة الوطأة على الخصم، ذلك أنّه أعاد المعنى ذاته واستأنف الصّيغة بنصّها بعد أن استثمرهما

في هجو غسان السليطيّ وعشيرته⁽¹⁴⁴⁾ وما إن يقرّ تلك المنقصة عنصرا متاصلا في كيان مشنونة حتى ينتقل الى التفنّن في تحديد موازين تلك العقول وتعبير مقاديرها تعبيراً ساخراً، فهي - من وجهة نظر جرير - عديمة الوزن حتّى إذا قيست بأخفّ الأشياء، وهكذا فأحلام «بني وقبان» لا تعادل حبة خردل⁽¹⁴⁵⁾ وهي ما هي ضالّة حجم، وعقول مجاشع لا توازن ريشة العصفور⁽¹⁴⁶⁾ على خفّة وزنها، أما حلوم بني نخير وقد استدرجوه استفزازاً وحملوه على الغضب الشديد⁽¹⁴⁷⁾ فهي لا تزن مثقال ذبابة⁽¹⁴⁸⁾.

على أنّ جريراً لا يكتفي بنقص الإدراك سبّة يسبّ بها خصومه، بل يدفع مبالغته الى انتهاها فينفي عنهم كلّ عقل⁽¹⁴⁹⁾ وينكر عليهم كلّ حلم⁽¹⁵⁰⁾ ويتوسّل الى ذلك بجملّة من الوسائل كأن يؤكّد فقد العقل بأرقى درجات التأكيد فيقسم قائلاً في مجاشع الوافرا :

وَلَا وَآيِكَ مَا لَهُمْ عُقُولٌ وَلَا وَجِدْتُ مَكَاسِرَهُمْ صَلَابًا⁽¹⁵¹⁾

أو كأن يعتمد - في صياغة شرطية افتراضية - أسلوب البرهنة ليقيم الدليل على أنّ مناوئيه لا عقول لهم. يقول في عشيرة طهية معللاً محتجاً البسيط :

لَوْ فِي طَهِيَّةٍ أَحْلَامٌ لَمَّا اعْتَرَضُوا دُونَ الَّذِي كُنْتُ أَرْمِيهِ وَيَرْمِينِي⁽¹⁵²⁾

وقد يستقلّ الأسلوب الإنشائيّ منهجاً فيتساءل تساول الاستغراب والإنكار والتحقير. مثال ذلك ما قاله مجيباً الفرزدق [الطويل] :

وَأَيَّةُ أَحْلَامٍ رَدَدْنَ مُجَاشِعَا يَعْلَوْنَ ذِيْفَانَا مِنَ السُّمِّ مُنْقَعَا⁽¹⁵³⁾

ولئن اقترن فقد العقل في مناسبة وحيدة اقترانا ظرفياً ببعض أعمال
النصارى وعاداتهم مثل ما هو حال نساء تغلب إذ يشربن الخمر⁽¹⁵⁴⁾ فإنّ
نفي الإدراك وإنكار التمييز يتّسمان بالقطع والإطلاق، ومن شأن هذا
الامر أن يجعل المهجوّ مجرداً من أهمّ مقوماته باعتباره إنساناً ويردّه
مسلوباً من جوهره الصّميم بصفته تلك، فقبيلة مجاشع مثلاً لا ينطبق
عليها ما ينطبق على سائر النّاس حين ينتقلون عبر مراحل العمر المختلفة
من حالة الى حالة ويتدرّجون تدرّجاً طبيعياً في سلّم النضج والرّشاد
حتى لكأنّها - لشذوذها وغرابة أمرها - من غير البشر. فإذا كانت سنة
الحياة تقضي بأن تعقب الرصانة الحكيمة سكرة الشباب باعتباره «شعبة
من الجنون»⁽¹⁵⁵⁾ فإن هذه القاعدة المطّردة المألوفة لا تسري على مجاشع
وكأنهم ليسوا من البشر، شأنهم غير شأنهم ودأبهم غير دأبهم وكأنّما
أخرجهم الشّاعر من دائرة الإنسان ليلقي بهم في بؤرة الحمقى المخلّطين
والصّبيان المحرّمين. يقول في المجاشعيّين وقد خلوا من الأبواب زمن الشبيبة
وافتقروا الى العقول في فترة المشيب البسيط :

مُجَاشِيعٌ لَا حَيَاءَ فِي شَبِيبَتِهِمْ وَلَا يَتُوبُ لَهُمْ حِلْمٌ إِذَا شَابُوا⁽¹⁵⁶⁾

وقد يصدر الهزؤ والازدراء كلاهما عن خيبة الأمل تنبثق من فرق
ما بين مظهر مهيب ومخبر سيء، فالظّاهر حية عظيمة توحى بوقار
العقل وسكينة الحكمة، والباطن حلم ضالّ لا يثوب ولا يهتدي. يقول جرير
في أعدائه من بني عموته [الوافر] :

تَفِيشُ مُجَاشِيعٌ يَلْحَى عِظَامِ وَأَحْلَامِ ضِلَلٌ وَمَا اهْتَدَيْنَا⁽¹⁵⁷⁾

وهكذا فإنسانيّة المهجويّين - بما هي تمييز وتدبير - مختزلة في
مظهر خادع يتراءى للنّاظر من خلال حية كاذبة⁽¹⁵⁸⁾ وإذا جوهرهم - بما

هو عقل وتفكير - مجرد وهم قديم كان الشاعر يتوهمه قبل أن يخبر
انتماهم⁽¹⁵⁹⁾.

ولا يقلع الشاعر - في هذا المدار - عن نزعته الإطلاقيّة الحاسمة إلا
ليقبل على إبراز المواطن التي يتجلّى فيها كلال الفكر وسوء التدبير تجلياً
عملياً سواء من حيث التّصوّر أو من جهة الممارسة. فإذا كان البعث
عنّجاً⁽¹⁶⁰⁾ لا رأي له ولا متّجه لكثرة تردّده وعدم اتّجاهه الى الصّواب،
فإنّ الأخطل عديم الفراسة كثير الخطأ درايته ضعيفة ورأيه عاجز، يقول
جرير في شاعر تغلب محقّراً ذاته مهجّناً صفاته [الوافر] :

رَأَيْتَكَ يَا أُخَيْطِلُ إِذْ جَرَيْتَا وَجُرَيْتِ الْفِرَاسَةَ كُنْتَ قَالاً⁽¹⁶¹⁾
وأعداء ابن الخطفَى عامّة في ضلال⁽¹⁶²⁾ لا يهتدون، كمّة الأفئدة
عمي البصائر لا رشيد فيهم⁽¹⁶³⁾ ولا بصير، يتبعون في أحسن الأحوال
أهواء نسوتهم تيمّماً واهتداء. قال يعيب أسيّداً والهجيم ومازنا - وهم من
بني عمرو بن تميم⁽¹⁶⁴⁾ - [الكامل] :

الظَّاعِنُونَ عَلَى هَوَى نِسْوَانِهِمْ وَالنَّازِلُونَ بِشَرِّ دَارٍ مَقَامٍ⁽¹⁶⁵⁾
أمّا في سائر حالهم ومألوف عاداتهم فيرتحلون سوياً على غير
اهتداء ويسيرون دون رويّة أو تبصّر. يقول الشاعر عابئاً قوم الفرزدق
[الكامل] :

الظَّاعِنُونَ عَلَى الْعَمَى بِجَمِيعِهِمْ وَالْخَافِضُونَ بِغَيْرِ دَارٍ مَقَامٍ⁽¹⁶⁶⁾
وهذه الصّورة التي تبرز أن هؤلاء «يركبون ما لا يبا لون عاقبته
من الأمور ولا يدرون ما هو»⁽¹⁶⁷⁾ تذكّر بقول العرب «فلان يخبط في
عمياء إذا ركب ما ركب بجهالة»⁽¹⁶⁸⁾ كما تعكس وضع العشواء من الإبل
إذ تخبط خبطها المعروف لضعف بصرها فلا تتوقّى شيئاً إذا مشّت⁽¹⁶⁹⁾

وتطابق ما يقال في المثل السائر «هو يخطب خطب عشواء يضرب مثلاً للسائر الذي يركب رأسه ولا يهتم لعاقبته كالناقة العشواء التي لا تبصر، فهي تخطب بيديها كل ما مرت به»⁽¹⁷⁰⁾.

ويكاد الشاعر يعيد المعنى بذاته ويكرر الصيغة بنصها⁽¹⁷¹⁾ فيقول في مجاشع وشاعرها الذي استنجدت به نساؤها⁽¹⁷²⁾ [الكامل] :

الظَّاعِنُونَ عَلَى الْعَمَى بِجَمِيعِهِمْ وَالنَّازِلُونَ بِغَيْرِ دَارٍ مَقَامٍ⁽¹⁷³⁾
وكلما عادت هذه الصورة مجسمة للجهل مبرزة للحق تبادرت الى الأذهان صورة الناقة الخرقاء التي «لا تتعهد مواقع قوائمها»⁽¹⁷⁴⁾ فيعرض لها السوء ويلحقها الأذى.

وما هي إلا أن يعوج على خصومه التقليديين إلحاحا في الذم وتشديدا للنكال يسلبهم كل فطنة ويجردهم من كل حزم، ذلك أنهم لا يتيقظون لأمر ولا يحتاطون لشيء. لا يتوقعون الحادثات ولا ينظرون في العواقب إلا بعد فوات الأوان. يقول مخاطبا قبيلة مجاشع الطويل :

فَلَا تَتَّقُونَ الشَّرَّ حَتَّى يُصِيبَكُمْ وَلَا تَعْرِفُونَ الْأَمْرَ إِلَّا تَدْبُرًا⁽¹⁷⁵⁾

وما أحسن ما صور به الشاعر الكليبيّ فقدان التّغليبين لبصائرهم حين جسد ذهاب ألبابهم وجعلهم بمثابة فاقدٍ الأبصار يجمعهم العمى وتكنفهم الظلمة وزاد كمّهم تجسيدا فأخرجه حركات معلومة تنضح تعثرا وتنزعا عبثا يستوي في أدائها قائدهم ومقودهم إذ لا هادي يدلّ أهله فينفعهم توضيحا لنهاج الصّواب، يقول جرير مزاجا الفخر بالهجاء مقابلا بين رشاد قبيلة قيس وعمه قبيلة تغلب [الكامل] :

قَيْسٌ عَلَى وَضَحِ الطَّرِيقِ وَتَغْلِبٌ يَتَقَاوَدُونَ تَقَاوُدَ الْعُمَيَّانِ⁽¹⁷⁶⁾

من هنا كان هؤلاء وأمثالهم حقيري الشأن لا يستشيرهم الناس ولا يؤامرونهم ليأسهم من نفعهم، ذلك أنه ليس لهم رأي حصيف بل لا رأي لهم البتة، حضورهم كغيابهم ووجودهم كعدمه حتى لكان حياتهم - لتفاهتهم وهوان أمرهم - هي العبث ذاتهم. يقول جرير في قبيلة تيم وهي ما هي لؤما وضعة⁽¹⁷⁷⁾ على ما ذكرت بعض المصادر [الوافر] :

وَيَقْضَى الْأَمْرُ حِينَ تَغِيبُ تَيْمٌ وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ وَهُمْ شُهُودٌ⁽¹⁷⁸⁾

وهذا المستوى وثيق الاتصال بمجال الإدراك وما إليه لا محالة، إلا أنه متعلق كذلك بعض التعلق بشيء من فقد للحسّ وافتقار للذوق، ومن هنا تبدأ مظاهر الحمق في الانفصال عن ميدان التمييز والاتصال أكثر فأكثر بحقل الأخلاق وما يدخل في حكمه.

ولعلّ أول خلق يلفت النظر لكثرة تردده بصيغته المتعددة⁽¹⁷⁹⁾ وسياقاته المختلفة⁽¹⁸⁰⁾ هو ضعف القلب تؤدّيه خاصّة عبارة «نخبة»⁽¹⁸¹⁾ وهو الجبان «المنخوب القلب»⁽¹⁸²⁾ الذي «كانّه منتزع الفؤاد أي لا فؤاد له»⁽¹⁸³⁾ يقول جرير ناهيا الفرزدق عن الفخر خاصّة وقد أخلّ بأهمّ مقوم من مقوماته الا وهو الشجاعة [الوافر] :

فَلَا تَفْخَرْ وَأَنْتَ مُجَاشِعِيٌّ نَخِيبُ الْقَلْبِ مُنْخَرِقُ الْحِجَابِ⁽¹⁸⁴⁾

ولا يلبث أن يعمّ العيب مجاشعا بأجمعهم فهم يناخبة⁽¹⁸⁵⁾ جنباء لا أفئدة لهم، بنو نخبات⁽¹⁸⁶⁾ ضعاف لا خير عندهم، الأب نخبة⁽¹⁸⁷⁾ والأم ينخوبة⁽¹⁸⁸⁾، ومثل هذه العبارات وقد اشتقت من المادّة نفسها وتكرّرت مرارا أصبحت جارية مجرى المصطلح دلالة على قوم بأعيانهم حالة محلّ اللقب نيز⁽¹⁸⁹⁾.

والطريف أن هذه المذمة تقدّم أحيانا تقديم العورة معنى مثلما ذهب الى ذلك بعض الشّارحين⁽¹⁹⁰⁾، وما هي إلا أن تلتحم صورة العيب الأخلاقي إذ يعبّر به بصورة السّوأة إذ يستحى من كشفها وافتضاح أمرها لنا وتلقيا وسلبية وقبحا.

ويتوقف الشّاعر الكليبيّ عند ضعف القلب فيتناول ما يتولد عنه من مظاهر الجبن فيعرضها تعديدا لإعراض الخصوم عن المواجهة⁽¹⁹¹⁾ نفورا وفرارهم من ساحة المعركة لوأذا وتخليهم عن ذويهم⁽¹⁹²⁾ استسلاما وانقيادا وخضوعا⁽¹⁹³⁾.

وفي هذه الحالة أيضا يغور أمل الآمل خيبة وينقطع رجاء الراجي يأسا، ذلك أنّ رجولة المهجّوين مجرد مشابه بادية⁽¹⁹⁴⁾ توهم بما يتحلّى به الرّجال من صبر ورباطة جأش. أمّا ألبابهم - بما هي جوهر صميم - فأئدة واهية قد خلعتها الفزع. يقول جرير في مجاشع قول المنبّه المؤكّد ناهيا مخاطبيه عن الاغترار بزيّف المظاهر [الكامل] :

لَا يُعْجِبَنَّكَ أَنْ تَرَى لِمَجَاشِعٍ جَلَدَ الرِّجَالِ قَفِي الْقُلُوبِ الْخَوَلُ⁽¹⁹⁵⁾

ويبلغ بهم الجبن مبلغا يجعل أجوافهم تضطرب يوم اللقاء فرقا إذ لاسلطان لهم على حبس ما في بطونهم حتى لكانهم في سلعهم نوق غزار كثيرة الألبان. يقول جرير عند مخاطبته للفرزدق وقومه مشيرا الى الأيام التي كانت عليهم تذكيرا وتحقيرا [البسيط] :

لَمَّا لَقِيتَ فَوَارِسًا مِنْ عَامِرٍ سَلُّوا سِيُوفَهُمْ مِنَ الْأَجْفَانِ
مَلَأْتُمْ صَفَفَ السَّرُوجِ كَأَنَّكُمْ خُورٌ صَوَاحِبُ قَرْمَلٍ وَأَقَانِ⁽¹⁹⁶⁾

وتزداد مثل هذه الصّفات والأعمال سوءا وقبحا حين يصحبها نتخار بالباطل وتمدّح بما لا وجود له. وهذا الجمع الذي لا يستقيم بين

الخصلة ونقيضها هو الذي يعمد الشاعر الى إبرازه وتضخيمه حين يقول
[الوافر] :

فَإِنَّ مُجَاشِعًا جَمَعُوا فَيَاشَا وَأُسْتَاهَا إِذَا فَرَعُوا رِطَابًا⁽¹⁹⁷⁾

وهكذا، فالمجاشعيّ على وجه الخصوص يبدو نفاجاً فيّاشاً «يفخر ولا شيء عنده»⁽¹⁹⁸⁾ ويتظاهر بما ليس فيه وينسب الى نفسه خلالاً هو عار منها تمام العراء. وهو الى ذلك صاحب كبر عظيم في نفسه عظمة لا أساس لها إلا الادّعاء والباطل يحملانه على أن يغترّ ويأخذ في التمدّح والتفخّر والاختيال والغواية حتى ينسى قدر نفسه. يقول جرير مصوراً نفج بني مجاشع مجسّماً ما يبرز ذلك من كثرة كلام وانتفاخ أوداج [الوافر] :

فَقَرَّبَ لِلْمِرَاءِ مُجَاشِعِيًّا إِذَا مَا قَاشَ وَاتَّفَخَ الْوَرِيدُ⁽¹⁹⁹⁾

ويَتَقَنَّ الشَّاعِرُ فِي تَنَوُّعِ الصُّورِ حَتَّى يُوَقِفَ مَنَاقِبَهُ مَوَاقِفَ مَهْجَنَةٍ، فهُم إِذَا أَحْصَبُوا وَشَبَعُوا مَدُّوا وَأَخَافَهُمْ حَتَّى تَنْبَسُطَ وَيَنْتَفِشَ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ وَيَتَفَرَّقُ وَأَخَذُوا فِي التَّمَدُّحِ وَالْفَخْرِ. يَقُولُ جَرِيرٌ فِي قَوْمِ الْفَرَزْدَقِ مَسَائِلًا مَخَاطِبِيهِ مَسْأَلَةَ الْإِنْكَارِ وَالِاسْتِغْرَابِ [الطويل] :

أَلَا تَعْرِفُونَ النَّافِثِينَ لِحَاهِمُ إِذَا بَطِنُوا وَالْفَاحِرِينَ بِلَا فَخْرٍ⁽²⁰⁰⁾

وينتقل الى صورة أخرى تبعث على مزيد التهجين وتوحي بتحقيق أشدّ إذ يقرن مجاشعاً بأردل الدوّابّ وأغلظها حسّاً ويجعل حركاتهم أشبه ما تكون بفيش البراذين⁽²⁰¹⁾ وقد يعمد الى التّحديد فيقع على البعث المجاشعيّ يصف ثقل مشيته ورجوعه الى خلف وتميله تمايل المتبختر المختال فيقول فيه مجرداً إيّاه من كلّ فحولة [الطويل] :

يَفِيشُ ابْنُ حَمْرَاءِ الْعِجَّانِ كَأَنَّهُ خَصِيٌّ بَرَّادِينَ تَقَاعَسَ فِي وَحْلٍ⁽²⁰²⁾

وربما عمد في بعض الأيان الى رسم الصّور السّاخرة تقوم على المفارقة العجيبة بين هشاشة الزّعم الادّعائيّ من ناحية ورسوخ الوقائع التّاريخية في الأذهان من ناحية أخرى فضلا عن مثول الحقائق المادّية البادية للعيان، فمن الخلف أن يجتمع فخار النّفج وتمدّح الفياش ببني ضعيفة⁽²⁰³⁾ وعقول آفلة⁽²⁰⁴⁾ أتلّفها الضّلال والفساد⁽²⁰⁵⁾ وقلوب مخلوعة⁽²⁰⁶⁾ ذهب بها الجبن ومخازن مستقرّة قادتها الهزائم المتتالية في مجالي القول الشّعري⁽²⁰⁷⁾ والفعل الحربي⁽²⁰⁸⁾ علاوة على خذلان الجيران الدّاخلين في الحماية⁽²⁰⁹⁾، ومن الطّبيعيّ بعد كلّ ما تقدّم أن يخرج الاعداء - وقد أزرى بهم الفياش⁽²¹⁰⁾ - في صورة الفراش وهي تصلّى النّار وتتهاوى احتراقا وهلاكاً. يقول جرير في ذلك [الوافر] :

أَزْرَى بِحِلْمِكُمُ الْفِيَّاشُ فَأَنْتُمْ مِثْلُ الْفَرَّاشِ غَشِيَنَ نَارَ الْمُصْطَلِي⁽²¹¹⁾

ويجبل الشّاعر النظر في مواطن الدّغ المعنوية فيقع على أكثرها إيلاها لمهجوّيه وأشدّها إيذاء لهم ويتناول أعراض نسوتهم ويعتمد الخور معني للهجاء مناسبا وأداة للدّع فاتكة خاصّة وهو يختلف في مفهومه عن خور الرّجال إذ هو - في هذا المقام - مرادف للضعف الأخلاقي السّائن، فنساء مجاشع خور«والخور من النساء الكثيرات الرّيب لفسادهنّ وضعف أحلامهنّ»⁽²¹²⁾. ويزداد هذا الفساد قبحا وشناعة بصفته لاحما لبنية الأخلاقيّة تتناقله أجيال مجاشع المتعاقبة بالتّوارث والتّربية. قال جرير في هذا المعنى وهو يجب الفرزدق [الكامل] :

أَبْلَغُ بَنِي وَقَبَانَ أَنَّ نِسَاءَهُمْ خُورٌ بَنَاتُ مَوْعٍ خَوَّارٍ⁽²¹³⁾

وما هي إلّا أن يستقلّ سلطان الكلام مستثمرا طاقته السّحرية فيجرّد نسوة خصومه من كلّ ما يستر ويعرض سواتهنّ على مختلف

الحواس لتصفها وتصورها. وهكذا فالمجاشعية خوّارة فرجها يفوق البئر اتساعاً⁽²¹⁴⁾ ولفروج المجاشعيات عموماً خقيق يحاكي أصوات البطّ في مجتمع المياه، ذلك أنهنّ لا يتحكّمن في اضطرابها المزري وتصويتها المنكر. يقول جرير في ذلك مشبّها مصوّراً |الكامل| :

وَكَانَ تَحْتَ ثِيَابِ خُورٍ نِسَائِهِمْ بَطًّا يُصَوّتُ فِي صَرَاةِ الْجَدُولِ⁽²¹⁵⁾

وهنّ - زيادة على ذلك - لا يمتنعن من أحد، يستسلمن حتّى لأراذل القوم وينقدن للقيون، وصفة السّوء هذه هي الرّعالة⁽²¹⁶⁾ وهي علامة من علامات الحمق المحقّق لما تحمله من معاني الرّطوبة واللّزاجة والميوعة إضافة الى فقد الشعور ونقص الهمّة، فقد هامت نساء مجاشع بعبيدهنّ ولعا⁽²¹⁷⁾ ووجد القيون بهنّ وجدا بلغ حدّ العبادة. يقول الشاعر |الطويل| :

لَقَدْ وَجَدَتْ بِالْقَيْنِ خُورٌ مُجَاشِعٍ كَوَجَدَ النَّصَارَى بِالْمَسِيحِ بْنِ مَرْيَمَ⁽²¹⁸⁾

وإذا طلب جرير لحرصهنّ على ملازمة عبدهنّ وتعطفهنّ عليه تجسيماً ألفى من مألوف اللّوحات البدويّة ما يؤدّي المعنى توضيحاً، فهؤلاء النّسوة أشبه ما يكنّ بالظّوار من الإبل المجتمعة العاطفة على حوارٍ واحد وقد رأته وأيمها. يقول جرير في ذلك |الكامل| :

حَنَّتْ وَحَنَّ إِلَى جَبْرِ نِسْوَةٍ خُورٌ يَطْفُنْ بِهِ وَهَنْ ظَوَارٍ⁽²¹⁹⁾

ولا يقف جرير عند وصف عورات النّسوة ولا ينتهي عند وصف خبايا أنفسهنّ بل يسبر أغوار عقولهنّ الباطنيّة غوصاً وفحصاً فإذا الواحدة منهنّ لشدّة غلمتها وهيجان شهوتها وتطلّبها الضّراب دائمة الرّغبة في الجماع سواء في حالة اليقظة أو حالة الحلم إذ «ترى في المنام أنّه يفعل بها وليس نها همّة إلّا هذا»⁽²²⁰⁾. والعجيب أنّ الشاعر يقيم - في

تعبير أشبه ما يكون بالتعبير السريالي عضو المهجوة التناسليّ مقام اللب موضعا واشتغالا ويحلّه محلّ اللسان هذيانا مفصحا عن تأجّج شهوة المباسضة وهي تعتمل - دون غيرها - في لا وعي المجاشعية الماخوذة نفسها بمثل هذه الهواجس. قال جرير في نقيضته التي أجاب بها الفرزدق [الكامل] :

تَلْقَى الضَّفِينَةُ مِنْ بَنَاتِ مَجَاشِعٍ تَهْذِي اسْتَهًا بِأَخَابِثِ الْأَحْلَامِ⁽²²¹⁾

وعندما يتأمل المرء حمق المهجّوين - ابتداء من هذا المستوى - يجده قد نحا منحى أخلاقياً صرفاً تقريباً وإذا به في عدد من جوانبه تبدّل حسّ وفقد شعور وموت نفس وقلة همّة وإذا بالمسنّوين لا خير فيهم، ومن الظواهر المعبرة عن ذلك أنّ ما يقارب التّصف من مجمل المعاني المتعلّقة بهذا الحقل جاءت منفيّة⁽²²²⁾ سلب من خلالها الشاعر مهجويّه كلّ سمة للفضل أو أمارّة للشرف، فقد نفى الحشمة عن شباب مجاشع⁽²²³⁾ وأنكر الخفر عن نساء تغلب⁽²²⁴⁾.

ومن المظاهر التي تدل على فساد أذواق الخصوم وانحطاط أخلاقهم أنّهم يقبلون الهوان ويتحملون المذلة ويصبرون على الضيم⁽²²⁵⁾. يسيغون الحزي⁽²²⁶⁾ ويتقبّلون الهزيمة انكساراً⁽²²⁷⁾ وأسراً⁽²²⁸⁾. يعتدي على نسائهم المعتدون⁽²²⁹⁾ فيسكتون راضين خائعين. هم القاعدون قعود الثّقلاء لا يبرحون أمكنتهم⁽²³⁰⁾ ولا يهّبون لمكرّمات، لا تستنهضهم غيرة ولو كانت المتحنة ذات قرابة⁽²³¹⁾ ولا تستنفرهم حميّة وإن استغاث الملهوف واستنجد المستجير⁽²³²⁾ ولا غرو في ذلك، فهم لا يمنعون حمى ولا يذبّون عن حرمة ولا يخامون على عورة⁽²³³⁾. لا يفون بعقد ولا يتمسّكون بوّد ولا يغضبون لحرمة تنتهك أو يحمون جارا ذا قرابة

يظلم⁽²³⁴⁾ ولا أدلّ على ذلك من أنهم خدعوا الزبير بن العوام وخذلوه بعد أن أطمعوه بالباطل. قال جرير متمثلاً جانباً من حوار القرشيين وقد ورد عليهم نعي حوارِي الرسول صلى الله عليه وسلم، [الطويل] :

وَقَالَتْ قُرَيْشٌ لِلْحَوَارِيِّ جَارِكُمْ أَرْغَوَانَ تَدْعُو لِلْوَفَاءِ وَضُوطِرَا⁽²³⁵⁾

ولشدّ ما ألحّ الشاعر على هذا المعنى الهجائي تأكيداً ونشر فيه الحديث⁽²³⁶⁾ باعتباره مثلبة فاضحة ومعرّة صارخة الى درجة أنّه سوى أعداءه بالأخشاب الجامدة المطرّحة⁽²³⁷⁾ في افتقادهم لأدنى مقومات الوعي والشعور والحياة.

أمّا إذا عدل المرء عمّا فصلّ فيه الشاعر القول وطلب الإجمال المعبر ألفى من الأبيات ما يقع في هذا المقام موقع الكلمات الخواتم إذ تلخّص المعاني وتجرّد المضامين. وقد أجاب جرير الفرزدق بنقيضة مدح فيها بني جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فقال في اتّجاه المخازي الى قبيلة مجاشع غدوة ورواحا [الطويل] :

وَحَبَّبَتْ حَوْضَ الْخُورِ خُورٍ مُجَاشِعٍ رَوَاحَ الْمَخَازِي نَحْوَهَا وَبَكُورَهَا⁽²³⁸⁾

ولا شك أنّ مجمل ما تقدّم جعلهم - رغم ضخامة الأحجام - أرذل الناس وأدناهم أصلاً وأفسدهم أمراً⁽²³⁹⁾ فهم الغثرة اللئام⁽²⁴⁰⁾ وهم أوشاب الناس وقد أدّت هذا المعنى خاصة عبارة «الضياطرة» وهم الحمقى الذين «لا غناء عندهم»⁽²⁴¹⁾ كما أدّته عبارة «العضاريط» وهم «التبّاع ونحوهم»⁽²⁴²⁾ من اللئام الخادمين على طعام بطونهم. قال جرير محلّلاً تبعيّة بني مجاشع وعده تقدّمهم [الكامل] :

لَا تَتَّبِعُ النَّخَبَاتُ يَوْمَ عَظِيمَةٍ بَلِغَتْ عَزَائِمُهُ وَلَكِنْ تَتَّبَعُ⁽²⁴³⁾

ولا يقف الثّو عند حدّ الأخلاق بل يصعد رقيّاً الى حقل العقيدة
فينفي الشّاعر عن مهجويّه كلّ دين ويجردّهم من كلّ إيمان ويجعل
قلوبهم خلواً منه خلوها من الفكر، وقد جعل الأمرين متلازمين في أكثر
من موضع. من ذلك ما عيّر به جرير البعيث المجاشعيّ في صياغة
استفهاميّة إنكاريّة حصرية حين قال [الطّويل] :

وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا نَخْبَةٌ مِنْ مُجَاشِعٍ تَرَى لِحْيَةً فِي غَيْرِ دِينٍ وَلَا عَقْلٍ⁽²⁴⁴⁾

ويعود الى مثل هذا المعنى عندما يتعلّق الأمر بعموم مجاشع فيقول
[البسيط] :

مُجَاشِعٌ قَصَبٌ جُوفٌ مَكَاسِرُهُ صِفْرُ الْقُلُوبِ مِنَ الْأَحْلَامِ وَالْدِّينِ⁽²⁴⁵⁾

وحَتّى إذا كانت لهم أبواب فهي مجرد أحلام ضالّة لا ترشد ولا
تهتدي الى صواب، أصحابها بمثابة العميان مقودين وقادة يسيّرهم الكمه
وتوجههم الى المهالك غباوتهم⁽²⁴⁶⁾. ومّا يبرز تيههم ويظهر ضلالهم عدم
استجابتهم لدعاء الزبير بن العوّام وهو حواريّ الرّسول صلّى الله عليه
وسلم. قال جرير في ذلك [الطّويل] :

دَعَاكُمْ حَوَارِيّ الرُّسُولِ فَكُنْتُمْ

عَضَارِيطُ يَا خُسْبَ الْخِلَافِ الْمُصْرَعَا⁽²⁴⁷⁾

وعندما يصرف الشاعر النظر - مؤقتاً - عن قبيلة مجاشع ويلتفت
الى قبيلة تغلب لا يعدم أمارات متّصلة بالسلوك تدلّ على ضلال هؤلاء
منها أكلهم لحم الخنازير وشربهم الخمر، لذلك يقبّح جرير مناظر
التغليّبات ويخبّث مأكلهنّ ومشربهنّ فيقول في معرض هجائه للأخطل
[البسيط] :

مِنْ كُلِّ مَخْضَرَةٍ الْأَنْيَابِ قَعَرَهَا لَحْمُ الْخَنَازِيرِ يَجْرِي فَوْقَهُ السُّكَّرُ⁽²⁴⁸⁾

أما الشخص الذي صبّ عليه جام غضبه فهو خصمه العنيد الذي طالما صاوله وجاوله، فقد استغلّ جرير نفى عمر بن عبد العزيز للفرزدق من المدينة⁽²⁴⁹⁾ وراح يرميه بعدم الطهارة ويلصق به مختلف الشرور، ومن بين ما قال في ذلك [الكامل] :

وَلَقَدْ خَرَجْتَ مِنَ الْمَدِينَةِ آفِلًا . خَرَعَ الْقَنَاءَ مُدْنَسَ الْأَثْوَابِ⁽²⁶⁰⁾
ولم يجعل عيوبه المتصلة بالمعتقد حادثة طارئة بل صورها متمكنة من الأصل راسخة في الطينة وكأنها طبيعة مستحكمة وسجية غالبة على العنصر ورذيلة ناشئة بمنشئه. قال [الطويل] :

لَقَدْ وَلَدَتْ أُمُّ الْفَرَزْدَقِ فَاجِرًا . وَجَاءَتْ بِوَزَوَائِرِ قَصِيرِ الْقَوَائِمِ⁽²⁵¹⁾
وواضح أن هذا البيت في مجمله راجع الى السّجلّ الديني باعتبار أنّ الفاجر هو الكاذب المائل المنبعث في المعاصي والمحارم⁽²⁵²⁾.

ولقد أعيد هذا البيت بنصّه في موطن آخر⁽²⁵³⁾ غير أن لفظة «فاجر» عوضتها لفظة «فاسق» وهذه العبارة تفوق الأولى رسوخا في السّجلّ الديني لأنّ الفسق في معناه الأصليّ هو «العصيان والتّرك لأمر الله عزّ وجلّ والخروج عن طريق الحقّ»⁽²⁵⁴⁾ وقيل في موطن آخر على سبيل التعريف : «الفسوق الخروج عن الدّين وكذلك الميل الى المعصية كما فسق إبليس عن أمر ربّه»⁽²⁵⁵⁾. وقد أصبحت هذه العبارة - بمجيء الإسلام - كالمصطلح المتّصل به وثيق الاتّصال. قال ابن الأعرابي : «لم يسمع قطّ في كلام الجاهليّة ولا في شعرهم فاسق. قال : وهذا عجب وهو كلام عربيّ»⁽²⁵⁶⁾ وهذه المظاهر المتقدّمة التي تدلّ على خروج عن الدّين تمثّلا واعتقادا أو إجراء وسلوكا يعتبرها أهل النّظر حمقا بصفتها مخالفة لروح الدّين وتعاليمه⁽²⁵⁷⁾.

والحاصل أن مجمل الأبيات الشعرية التي دارت حول محور الحمق واستطلت بمظلته الدلالية وتعلقت بمفهومه على تعدد وجوهه واختلاف مظاهره لا تمثل - عند العد - إلا نسبة ضئيلة إذا ما قيس بغرض الهجاء الجريي عامة، فهي لا تتجاوز نصف العشر من مجمل ما أنشأه الشاعر في معايب مناوئيه ونقائص أعدائه ومثالب خصومه⁽²⁵⁸⁾.

غير أن هذا العنصر المفرد عدًا الضئيل كما يتجلى - من خلال التحليل والاستقراء - متكامل الجوانب مترابط الحلقات الى حد أنه يمثل بنية محورية قائمة بذاتها لا من حيث المركبات العنوية المدرجة في سجله فحسب بل من جهة الأسلوب المعتمد أيضا. فقد أتى الشاعر الكليبي في هذا الباب على معاني الهجاء المختلفة جاهليتها وإسلاميتها ومشتركها⁽²⁵⁹⁾ كالضعف الشائن والهزال الفاضح والضوى المزري وضخامة التبلد وخور الواهين وسماجة الخلقة وغلظة الدواب وعجمة البهائم وخفة التزقين وثرثرة الهاذين وضعف الآراء وسفاهة الأحلام ووهي العقول وقلة التمييز وفقد الحس وانخلاع الأفئدة وفياش التفاجين وتعريد الجبناء وانحراف الأخلاق عموما وفساد المعتقد خصوصا، واخترق بمضامينه السلبية أنسجة الحقول المتباينة سواء منها ما اتصل بالشكل والهيئة والأعمال وردود الأفعال أو ما تعلّق بالحس والإدراك والدّوق والأخلاق والعقيدة كما استوفى جرير أساليبه الهجائية مألوفها ومبتكرها، فقد أطل قصائده جريا على سنته التي ابتدعها إذ طبق تنظيره الذي أوجزه بقوله : «إذا مدحتهم فلا تطيلوا المادحة، وإذا هجوتهم فخالقوا»⁽²⁶⁰⁾ وتهكم في ثلبه وتهزل على طريقته التي لخصها قائلا : «إذا هجوت فأضحك»⁽²⁶¹⁾ فضلا عن أنه أفحش⁽²⁶²⁾ معتبرا ذلك المذهب الصائب الذي يسلب «الإنسان الفضائل النفيسة وما تركب من بعضها مع بعض»⁽²⁶³⁾ ولم يترك من الخصم موصفا حسيا دقيقا إلا نفذ إليه فوصفه كشفا وقومه فضحا،

ولا محلاً معنوياً حساساً إلا سرب إليه وصفا لاذعا وتعييراً مؤذيا، وهو الى ذلك كله يزاوج في سخريته المكيئة اللدغ بين التجسيم الفاضح والتجريد التآبز، يحدوه في ذلك طبعه الشكس⁽²⁶⁴⁾ وميله الفطري الى المجادلة والخصام⁽²⁶⁵⁾ ويدفعه طموحه الى التميز والبروز وتوقه الى التحليق في سماء الشهرة بإردائه لأعدائه⁽²⁶⁶⁾ وإقصائه لخصومه تحييدا وتهميشا.

ويمكن للمرء - استنادا الى ما تقدم - أن يقدر أن عنصر الحمق يقوم من غرض الهجاء عند جرير مقام البنية المركزية المصغرة لمعاني الهجو ويمثل النواة الجوهرية لأساليبه في هذا الغرض المخصوص، وأن ما بقي من الهجاء لا يعدو أن يكون سوى توسيع لتلك البنية وتطوير لها وامتداد متفرع انبثق عن تلك النواة.

فهل يمكن للمرء - تبعا لما تقدم - أن يزعم أن لا هجاء إلا بالحمق ؟

أحمد الخصخوصي

الهوامش

- (1) (أشاد - ١١). كاتج، فصل جرير. دائرة المعارف الإسلامية (2).
- (2) الاصبهاني. الأغاني. 8 : 11.
- (3) الاصبهاني. الأغاني. 8 : 6.
- (4) الاصبهاني. الأغاني. 8 : 11.
- (5) الاصبهاني. الأغاني. 8 : 6.
- (6) من بين الوسائل إطالة الهجاء (ابن رشيق، العمدة، 2 : 849) ومن أساليبه، أيضا أن يهزا بالمهجو. كأن يقول : «إذا هجوت فأضحك» (ابن رشيق، العمدة 8 - 2 : 849).
- (7) من الشعراء من كان يعمد الى هجاء جرير طمعا في أن يكون في طبقة إلا أنه كان يعرض عن إجابة مثل هؤلاء ترفعا عنهم واستخفافا بهم وحرمانا لهم من الشهرة التي طمعوا في نيلها بمهاجراته والتعلق به. قال بعضهم : «وكان من هاجى جريرا فغلبه جرير أرجح عندهم بمن هاجى شاعرا آخر غير جرير فغلب». (أبو الفرج الاصبهاني. الأغاني، 8 : 11). وقد أقرّ بشار بن برد بحقيقة متجهة حين قال في جرير : «هجوت جريرا فأعرض عني واستصغرتني ولو أجايني لكنت أشعر الناس» (أبو الفرج الاصبهاني، الأغاني، 3 : 135).
- (8) من ذلك أن جريرا دأب على تصغير اسم الأخطل فلا يكاد يذكره إلا بقوله «الأخيطل» تهجينا له واستصغارا (الديوان، 57، 103، 749).
- (9) قال جرير في فعل شعره الهجائي : «هجوت فأرديت» (الاصبهاني، الأغاني، 8 : 58).
- (10) ليس من اليسير أن يحيط المرء بالحق من كافة أقطاره تجديدا وتعريفا كافيين مغنيين، على أنه إذا قنعنا من التبسيط بغايته قلنا إن الحق يعني - في ما يعنيه - كساد العقول ونقصانها يظهران في مظاهر عديدة ويبرزان في مجالات مختلفة.
- وقد رأى بعض الناظرين في أمر الحق أن يعرفه على سبيل المقارنة فساقه مع الجنون باعتباره مشابها له في بعض الحالات مذكرا به في عدد من الأوضاع وقال يبين ما اتلفا فيه وما اختلفا : «معنى الحق والتغفيل هو الغلط في الوسيلة والطريق الى المطلوب مع صحة المقصود، بخلاف الجنون فإنه عبارة عن الخلل في الوسيلة والمقصود جميعا، فالأحق مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد وَرَوَيْتُهُ في الطريق الوصول الى الغرض غير صحيحة، والجنون أصل إشارته فاسد فهو يختار ما لا يختار» (ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، 22).

(11) إذا تخلص المرء من قصر المفهوم على تعريف اصطلاحى معين وطلب شيئا من التعميم - وهو ما يناسب هذا المقال ويعطى المضمون بعده الأوفى - تبين أن معنى الحمق لا يعرف حواجز دقيقة يقف عندها ولا حدودا بيّنة ينتهي إليها، ومن الأدلة على ذلك أنه قيل لابراهيم النخاس - وهو من هو علما ومعرفة - : «ما حد الحمق؟ فقال : سألتني عما ليس له حد» (ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، 25).

وقد ترددت في مواطن أخرى من بعض المؤلفات أصداء تعريفية.
تذكر بمقولة شيخ المعتزلة النظامية (انظر مثلا ابن عبد البر، بهجة المجالس 1 : 537).

(12) في ما يلي ثبت في مجمل المواد الحاملة لمعاني الحمق مرتبة وفقا لتواترها :

01	جفس	03	ضفن	47	خور
01	جاف	03	عمي	22	نخب
01	خرق	03	قبقب	15	فيس
01	خلع	03	نخور	10	وقب
01	صفر	03	نوك	08	سفه
01	طاش	02	خجخج	06	ضطر
01	عشا	02	عجج	06	ضل
01	عنبج	02	عرد	04	خنث
01	فال	02	عضرط	04	رغو
01	قعر	02	علج	04	رار
01	نثر	02	وزوز	03	بطن
01	هبنق			03	جهل
01	همر			03	خف

ويلاحظ أن المواد الأربع الأولى الأكثر تواترا تقتصر اقتصادا تاما على قبيلة مجاشع وشاعريها البعيث والفرزدق.

(13) امتدت هذه المعاني من الصفحة 7 الى الصفحة 1013.

(14) احتلت هذه الأوجه محالها على امتداد 120 صفحة.

(15) بلغ عدد الأبيات الشعرية الحاملة لمعاني الحمق المختلفة حوالي 180 بيتا.

(16) القبائل التي وصفها الشاعر بالحمق وما يتصل به هي : تغلب والتيم وسلبيط ومجاشع ونمير.

(17) مجموعات الأفراد التي هجأها الشاعر بالحمق أو بما يتعلق به هي زبناع الأسدي وأخوته - بنو طهية بنت عبشمس بن سعد، بنو عقيل - بنو عمرو بن تميم (أسيد والهجيم ومازن) - بنو مالك بن حنظلة.

(18) هؤلاء هم : الأخطل والأعور النبهاني والبعيث وثور بن الأشهب وزهرة القناني وشبة بن عقيل وصفيح الرياحي والفرزدق ومحمد بن عمير بن عطارد وميحاسر (وهو أحد البراجم).

(19) القبانل المذكورة في هذا المجال مرتبة حسب تواتر ما هجيت به من مظاهر الحق :

112	مجاشع
007	التيـم
004	تغلب
004	سليط
001	نمير

(20) الأشخاص المذكورون بالحق وما يتعلق به مرتبين حسب تواتر ما هجوا به :

17	الفرزدق
07	الأخطل
03	البيـث
02	شبة بن عقـال

أما بقية الأشخاص فقد هجوا ببعض مظاهر الحق مرة واحدة.

(21) نقب الشاعر عن مثالب أعدائه المتعلقة بالأنساب والاحساب والملابس والمآكل كما بحث عن الأخبار المتصلة بالأيام التي كانت عليهم.

(22) أورد الشاعر في بعض الأحيان أسماء بأعينها أجريت في أبياته الهجائية مجرى الأعلام. وقد عكف عليها الشراح القدامى والمعلقون المحدثون فما أدركوا لها أصلا معروفا ولا عثروا لها على متجه مقبول رغم إحاطة بعضهم بالأنساب والمآكل بالمثالب.

علق الشارح على عبارة «بنات خبيـخج» فقال : «لا أدري ما هو» (الديوان، 190). وقال أيضا وهو يعلق على اسم «الجيثلوط» : «لا أدري ما الجيثلوط ولا سمعت أبا عبد الله يعرفه» قال : «لا أدري من أي شيء اشتقه» (الديوان، 518 - 519).

وقال الدكتور نعمان محمد أمين طه خلال تحقيقه معلقا على لفظة «النخوار» : «والنخوار لم يرد لها في النقائض أو في المعاجم شرح يلائم هجاء جرير» (الديوان، 870).

ومن خلال الأمثلة المتقدمة يبدو عمل الشراح والمعلقين وكأنه محدود منقوص. على أننا لا نظن ذلك تقصيرا منهم ولا جهلا بل نقدر أن الصعوبة تعود على ما يبدو إلى أن الشاعر كان من حين لآخر يختلق لمثنويته أسماء يصطنعها في بعض قصائده الهجائية. وما يجعل المرء يميل إلى مثل هذا الاعتقاد أن جريرا كان يخترع لخصومه أسماء ينبزهـم بها ما ورد في هامش من هوامش بعض الأصول تعليقا على البيت التالي :

وإذا فخرت بأهمـات مجاشع فافخر بقبـقـب واذكـر النـخـوارا

فقد جاء في هامش الأصل ما يلي : «قال : هذه أسماء افتعلها» (الديوان، 519).

(23) في ما يلي قائمة في الحقول الدلالية المتصلة بأوجه الحق الواردة في الأهاجي مع بيان لدى تواترها وتصنيف لها حسب مجالات معلومة :

المظهر الخارجي	40	الهزال والضعف
	41	ضخامة الجثة وما يتبعها من رخاوة وفرط استهلاك
	02	الجفاء والسماجة
	02	خفة الحركة

الإدراك والتمييز 81

13	الحق عموماً
14	السفاهة وخفة الأحلام
18	الهذر والثثرة
12	عدم التمييز
14	انعدام العقل

الأخلاق 94

14	الفخر بالباطل
35	ضعف الفؤاد والجبن
10	فساد النسوة
35	الأخلاق عامة

العقيدة 16

16	الدين إيماناً وممارسة
----	-----------------------

(24) بدت لنا احتمالات أخرى لتناول هذا الجانب من الموضوع كأن يستقل المرء بعض الأنواع من الثنائيات باعتبار أن الأشياء تتمايز بأضدادها والمفاهيم تدرك بنقائضها، فمن الثنائيات التي يمكن اعتمادها مثلاً العقل والحق والعلم والجهل والفطنة والغمارة والرشد والضلالة والخفة والثقل والوقار والطيش والحلم والسفه، ومن الثنائيات الأخرى ما حكم بطرفين هما الإفراط والتفريط كالغلظة والرخاوة والثثرة والعبي والكبر والضعف، غير أن احتمالات الطرق المتقدمة - على الرغم مما توفره من رسم لحدود الصورة وضبط لمعالمها الجمالية - تبقى قاصرة عن الإحاطة بمظاهر الحق المختلفة والإلمام بوجود المدلول المتنوعة، لذلك ملنا إلى الإعراض عنها وأقبلنا على استبدالها بمقاربة أساسها المستويات المتصلة بالأعمال والمعاملات والسلوك والفكر والأخلاق والعقيدة.

(25) لا شك أن كلّ حق من الحقوق المشار إليها لا ينفصل عن سواء في الغالب إلا بحواجز شبه اصطناعية اقتضاها منهج قائم على الانطلاق من المظاهر المحسوسة والاتجاه تدريجياً للتوقف عند مستويات فيها قدر من التجريد، فمن اليسير أن تخترق لفظة واحدة انسجة الحقوق المتعددة فتعمرها بشري دلالاتها (انظر مثلاً موادّ ضطر وعسرت وعلهج وعنبج)، ولا غرو في ذلك، فمجمال الحقول متداخلة العناصر متكاملة المعاني يساهم كلّ منها بقسطه في إبراز الصورة المطلوبة وقد استوت دالة ناطقة كاشفة.

(26) وإذا بطنت فانت يا ابن مجاشع عند الهوان جنادف تثار
(الديوان، 871).

(27) لقد رلست أم الفرزدق فاسقاً وجاءت بوزواز قصير القوائم
(الديوان، 998).

(28) يا شب لن تستطيع اخرج إذ حميت عضم خريع وفيه نخة الرار
(الديوان، 362).

(29) أخو البؤس أمّا ما بدا من عظامه فبادر أمّا مخهنّ فبرير (الديوان، 877).

(30) شرح العالم اللغوي محمد بن حبيب بالحاشية، الديوان، 793.

(31) الديوان، 873.

(32) جاء في الأثر أن قصر القامة من الأمارات الدالة على ضعف العقل، قال بعضهم : « من قصرت قامته وصغرت هامته وطالت لحيته فحقيقا على المسلمين أن يعزّوه في عقله، (ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، 30).

ومن الأدلة على قلة العقل أيضا قصر الرقبة، فقد ورد في بعض المؤلفات قول أحدهم : « وإذا قصرت الرقبة دلّت على ضعف الدماغ وقلّته، (ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، 28). ويدخل في هذا الباب كذلك من كان لحيم الجبهة والوجه والعنق والرجلين (ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، 28).

(33) قصرت معاجم اللغة مفهوم الضّوى على معاني النحافة والضعف والهزال عامّة. جاء في بعض المعاجم : « والضّوى : دقة العظم وقلة الجسم خلقة، (لسان العرب، مادة ضوا)، غير أن بعض المؤلفين وسّع من حقل الضّوى الدلالي فجعله واصلا إلى الفكر. قال أبو حيان التوحيدى : « إن الضّوى الواصل إلى الأبدان سار في العقول، (الإمتاع والمؤانسة، 1 : 95) ولا يلبث التّوحيدي أن يزيد فكرته توضيحا فيضيف إلى معنى الضعف البدني المتداول معنى الضّعف الفكري فيقول : « والعرب لم ترد بهذا إلا نقص الذهن والعقل، (الإمتاع والمؤانسة، 1 : 95).

(34) تلقى القيون دون ذاك العوقا يال تميم من يخاف البروقا (الديوان، 793).

(35) ومجاشع قصب موت أجوافه غرّوا الزبير فأى جبار ضيعوا (الديوان، 913).

(36) ولا وأبيك ما لهّم عقول ولا وجدت مكاسرهم صلابا (الديوان، 818).

(37) عيد انكم عشر ولم يك عودكم نبعا ولا سبط الفروع نضارا (الديوان، 519).

(38) ألا يا لقوم لا تهكم مجاشع فأصلب منها خيزران وخروع (الديوان، 492).

(39) الديوان، 873.

(40) من معاني الخور ما دلّ على الضّعف عموما، ومنها ما اتصل بضعف البنية، وقد عبّر عنه الشاعر بـ « خور العظم، (الديوان، 153)، ومنها ما تعلّق بالحقل الأخلاقي، وقد عبّر عنه بـ « خور القلوب، (الديوان، 428، 992).

(41) تواترت مادة « خور، على اختلاف اشتقاقاتها تواترا ملحوظا على امتداد القصائد الهجائية المتعلقة خاصة بمجاشع (الديوان، 153، 195، 260، 302، 428، 492، 497، 518، 814، 817، 850، 870، 871، 873، 879، 880، 917، 918، 932، 981، 992، 1002).

- (42) وأنتم بني الخوَار يعرف ضربكم
(الديوان، 932).
- (43) يا شَبَّ ويحك إنك من نسوة
(الديوان، 870).
- (44) تلقى صفنَ مجاشع ذا خيبة
(الديوان، 1010).
- (45) قتلوا الزبير وقيل إن مجاشعا
(الديوان، 1010).
- (46) صادف منها ملجأً ومنتجاً
(الديوان، 186).
- (47) وجد الزبير بذى السباع مجاشعا
(الديوان، 310).
- (48) لا يخفينَ عليك أن محمداً
(الديوان، 1011).
- (49) من الأمارات الدالة على قلة العقل عظمة الجثة (ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، 28)
ومنها أيضا أن اللحم الكثير الصلب دليل على غلظ الحس والفهم، (ابن الجوزي، أخبار
الحمقى والمغفلين، 29).
- (50) هو النخبة الخوَار ما دون قلبه
(الديوان، 497).
- (51) الديوان، 510.
- (52) أبو حيّان التوحّيدي، الإمتاع والمؤانسة، 3 : 85.
- (53) لسان العرب، مادة جخب.
- (54) مثل الضباع يسفن ذبها رائخا
(الديوان، 959).
- (55) باتوا وقد قتل الزبير كأنهم
(الديوان، 310).
- (56) يفيش ابن حمراء العجان كأنه
(الديوان، 953).
- (57) بأي بلاء تهمدون مجاشعا
(الديوان، 423).
- (58) دعاكم حوارى الرسول فكنتم
(الديوان، 906).
- (59) شددتم حباكم للخزير وأعين
(الديوان، 506).
- وأتمكم فخ قدام وخيصف
خورلهن إذا انتشين خوار
وليه إذا وضع الإزار حران
شهدوا بجمع ضياطر عزلان
فولدت أعشى ضروطا عنيجا
للجيشلوط ونزوة من ضاطر
من نسل كسل صفنة مبطان
- حجاب وما فوق الحجاب ضلوع
- ويخزن في كمر ثلاث ليال
خور صوادر عن تجيل قراقير
خصي براذين تقاعس في وحل
غباغب أثوار ثلطن على جسر
عضاريط يا خشب الخلاف المصرعا
يقرب يكبو لليدين وللهم

- (60) عضاريط يشوون الفراسن بالضحي إذا ما السرايا حث ركضا مغيرها
(الديوان، 891).
- (61) شهد المهمل أن جيش مجاشع وضعوا الأيور على الخزير فخاروا
(الديوان، 873).
- (62) الديوان، 992.
- (63) الديوان، 1011.
- (64) لسان العرب، مادة بطن.
- (65) ومن أمثال العرب، البطنة تأفن الفطنة، يريد أن الشبع والامتلاء يضعف الفطنة أي الشبعان لا يكون فطنا عاقلا، (لسان العرب، مادة أفن).
- (66) تراغيتم يوم الزبير كأنكم ضباع مغارات يبادرن أجفرا
(الديوان، 475).
- (67) حاشية الديوان، 475.
- (68) لسان العرب، مادة ثور.
- (69) بنس الفوارس يا نوار مجاشع خور إذا أكلوا خزيرا ضفدعوا
(الديوان، 917).
- (70) لو كان يعلم ما استجار مجاشعا استاء مملحة هوارم خور
(الديوان، 858).
- (71) الديوان، 858.
- (72) كأن مجاشعا نخبات نيب هبطن الهرم أسفل من سرارا
(الديوان، 886).
- (73) ملأتم ضفف السروج كأنكم خور صواحب قرمل وافسان
(الديوان، 1011).
- (74) وكان تحت ثياب خور نسانهم بطا يصوت في صسرة الجدول
(الديوان، 943).
- (75) الديوان، 885.
- (76) الديوان، 870.
- (77) الديوان، 932.
- (78) هو اللحمة الرقيقة التي كانها جلدة والتي تعترض منبسطة بين الجنين وتحول بين السحر والقصب أي بين الفؤاد وسائرهم، (لسان العرب، مادة حجب).
- (79) الديوان، 763.
- (80) الديوان، 881.
- (81) الديوان، 907.
- (82) الديوان، 953.
- (83) الديوان، 1010.

- (84) الديوان، 959.
- (85) لسان العرب، مادة دعب.
- (86) لسان العرب، مادة دعبث.
- (87) الديوان، 186.
- (88) الديوان، 959.
- (89) الديوان، 475.
- (90) الديوان، 871 وانظر لسان العرب، مادة جندف.
- (91) الديوان، 998.
- (92) لسان العرب، مادة وزوز.
- (93) الديوان، 1000.
- (94) لسان العرب، مادة وزوز.
- (95) الديوان، 873.
- (96) الديوان، 871.
- (97) الديوان، 754.
- (98) الديوان، 187.
- (99) الديوان، 196.
- (100) الديوان، 475.
- (101) الديوان، 898، 868.
- (102) الديوان، 870، 898.
- (103) الديوان، 519.
- (104) الديوان، 195، 475، 983.
- (105) الديوان، 550.
- (106) الديوان، 188.
- (107) الديوان، 759.
- (108) الديوان، 196، 759، 802.
- (109) ابن عبد البر، بهجة المجالس، 1 : 545.
- (110) لسان العرب، مادة نوك.
- (111) لسان العرب، مادة أسر.
- (112) لسان العرب، مادة نوك.
- (113) لسان العرب، مادة نوك.
- (114) لسان العرب، مادة هبتق.
- (115) ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، 39.
- (116) الديوان، 787.
- (117) جاء في شرح الديوان قول الشارح : « بنو وقبان نبزلبني مجاشع، (الديوان، 855).

- (118) نقدر أن جريرا هو الذي وضع هذا الاسم باعتباره غير موجود في مؤلفات الأنساب والقبائل (انظر مثلا نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي ومعجم قبائل العرب لعمر رضا كحالة) كما نقدر أنه تصوّر بنية هذا الاسم الصرفية وأجراها على نحو غير مألوف في معاجم اللغة (انظر على سبيل المثال لسان العرب، مادة وقب).
 (119) ورد في الشرح المثبت بهامش الديوان قول الشارح : «بنو وقبان هم بنو مجاشع، (الديوان، 827).
 (120) ترددت هذه التسمية في غير ما موضع من أهاجي جرير (انظر الديوان، 814، 827، 855، 859، 898، 943).
 (121) جاء في الشرح المائل بهامش الديوان قول محمد بن حبيب : «ورجل وقبان وامرأة وقبي إذا كان أحمق، (الديوان، 363).
 (122) الديوان، 859.
 (123) الديوان، 363.
 (124) الديوان، 759.
 (125) رويدك الجهل إن لنا بناء إذا رمته قصرت يـذاك (الديوان، 600).
 (126) لنن راھنت عـذوا عليك مجاشع لقد لقيت نقصا وطاشت حلومها (الديوان، 989).
 (127) إن كنت رمت من السقاممة عزنا تبغي الفضال فقد وجدت فضالا (الديوان، 65).
 (128) الديوان، 57، 580.
 (129) الديوان، 57.
 (130) الديوان، 65.
 (131) الديوان، 587.
 (132) الديوان، 989.
 (133) الديوان، 580.
 (134) من هؤلاء الأخطل (الديوان، 65) والبعيث (الديوان، 989) والفرزدق (الديوان، 970).
 (135) الديوان، 112.
 (136) الديوان، 989.
 (137) ابن رشيق، العمدة 2 ، 846.
 (138) الديوان، 970.
 (139) الديوان، 580.
 (140) لسان العرب، مادة حمق.
 (141) يقال : «أحمق من رحلة، ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، 40.
 (142) ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، 40.

(143) الديوان، 992.

(144) قال جرير ،

أبني أديرة إن فيكم فاعلموا خور القلوب وخفة الأحلام
(الديوان، 992).

(145) أبلغ بني وقبان أن حلومهم خفت فما يزنون حبة خردل
(الديوان، 943).

(146) آتني شعرة لم نجد لجاشع حلما يوازن ريشة العصفور
(الديوان، 857).

(147) كان جرير واقفا على الراعي النميري يعاتبه على قضائه للفرزدق وتفضيله إياه عليه حتى أقبل جندل بن الراعي على الراعي يلومه على التفاته الى جرير واهتمامه به وقال : لا أراك واقفا على كلب من بني كليب تخشى منه شراً أو ترجو منه خيراً، ثم ضرب بغلته ضربة فرمحت جريرا رمحة وقعت منها قلنسوته ثم إن راعي الإبل لم يعرج عليه بعد ذلك تعريج الترضية ولا عاج عليه عوج التسرية ،فانصرف جرير غضبان، وأنشأ في بني نمير دماغته التي ضرب بها المثل في الفضح والإخزاء حتى طبقت الآفاق ذبوعا وشهرة (الاصهباني، الأغاني، 8 : 33).

(148) ولو وزنست حلوم بني نمير على الميزان ما وزننت ذبابا
(الديوان، 821).

(149) الديوان، 103، 363، 818، 952.

(150) الديوان، 159، 194، 354، 490، 557، 581.

(151) الديوان، 818.

(152) الديوان، 558.

(153) الديوان، 904.

(154) أبناؤهم أقل قوم حرمة عند الشراب ومالهز عقول
(الديوان، 103).

(155) الجاحظ، البيان والتبيين 2، 57.

(156) الديوان، 194.

(157) الديوان، 354.

(158) وهل أنت إلا نخبة من مجاشع ترى لحية في غير دين ولا عقل
(الديوان، 952).

(159) قد كنت أحسب في تيم مصانعة وفيهم عاقلا قبل الذي انتمروا
(الديوان، 210).

(160) صادف منها ملقحا ومنتجحا فولدت أعشى ضروطا عنبجا
(الديوان، 186).

(161) الديوان، 749.

- (162) ضلّت ضلال السّامريّ وقومه دعاهم فظنّوا عاكفين على عجل (الديوان، 952).
- (163) وقال الناس ضلّ ضلال تيم ألم يكُ فيهم رجل رشيد (الديوان، 330).
- (164) الديوان، 514.
- (165) الديوان، 514.
- (166) الديوان، 992.
- (167) شرح محمّد بن حبيب بالخامية، الديوان، 992.
- (168) لسان العرب، مادة خبط.
- (169) لسان العرب، مادة خبط.
- (170) لسان العرب، مادة عشا.
- (171) تردّد هذا المعنى متكرّراً في رداه من الديوان وتعلّق بعدد من العشائر والقبائل فاتّصل بتغلب (الديوان، 153) وبني أديرة من سليط (الديوان، 428) وبني عمرو بن تميم (الديوان، 514) والبراجم وهم بنو مالك بن حنظلة (الديوان، 537) ومجاشع (الديوان، 992).
- (172) ولما سقط غسان وصاحبه أعانه البعيث من بني مجاشع قوم الفرزدق من تميم، فهجاه جرير رسب نساء مجاشع سباً منكراً، وكان الفرزدق قد قيّد نفسه حتّى يحفظ القرآن وعاهد الله ألاّ يهجو أحدا أبداً. فجاءته نساء بني مجاشع وقتلن له : قبيح الله قيّدك، فقد هتك جرير عورات نسانك. فلحيت شاعر قوم، فأحفظنه، ففضّ قيده وقال :
- ألا استهزأت منّي هنيئدة أن رأت اسيرا يداني خطوة حلّق الحجلّ
- (محمّد ابراهيم جمعه، جرير، 49).
- (173) الديوان، 992.
- (174) لسان العرب، مادة خرق.
- (175) الديوان، 479.
- (176) الديوان، 1013.
- (177) الجاحظ، الحيوان، 1 : 361 - 363، 7 : 63 - 64، ومما يروى في هذا المتّجه أن حجناء بن جرير قال لأبيه : يا أبت ما مجوت قوما قطّ إلا فضحتهم إلّا التيم، فقال : يا بني، لم أجد بناء أهدمه ولا شرفاً أضعه. (أبو الفرج الاصبهاني، الأغاني، 8 : 83).
- (178) الديوان، 332.
- (179) أفرغت مادة «نخب» في قوالب صرفيّة متنوّعة كالصفة المشبّهة باسم الفاعل (الديوان، 518) والصفة المشبّهة باسم المفعول (الديوان، 763) واسم المفعول (الديوان، 981) كما وردت في صيغتي المفرد (الديوان، 302، 478، 497، 518، 763، 818، 881، 952، 971، 981) والجمع (الديوان، 112، 354، 516، 550، 818، 828، 858، 886، 914، 918، 959).

- (180) تراوحت السياقات بين الخبر والإنشاء فمن إثبات للمنقصة تعريفي كما في قوله :
هو النخبة الخوار ما دون قلبه حجاب ولا حول الفؤاد ضلوع
(الديوان، 302).
- الى استفهام إنكاري متضمن لمعنى الخصر مثل قوله :
وهل أنت إلا نخبة من مجاشع ترى الحية في غير دين ولا عقل
(الديوان، 952).
- (181) الديوان، 302، 478، 497، 518، 952.
- (182) شرح الديوان، 952.
- (183) لسان العرب، مادة نخب.
- (184) الديوان، 763.
- (185) الديوان، 516.
- (186) الديوان، 881.
- (187) الديوان، 518.
- (188) الديوان، 971.
- (189) جاء في شرح المحقق : « قوله نخبة هو لقب ». (الديوان، 478).
- (190) كثيرا ما شرحت عبارة « النخبة » على أنها الأست (الديوان، 354، 886، 959) أو جلدة الأست (الديوان، 478، 952) أو الدبر (الديوان، 818) أو الفقحة (الديوان، 478).
- (191) تولّون الصدور إذا لقيتم وتدنون الصدور من الطعام
(الديوان، 510).
- (192) وعردتم عن جعفر يوم معبد فأسلمم والقلحاء علان أسيرها
(الديوان، 881).
- (193) الديوان، 478.
- (194) الديوان، 959.
- (195) الديوان، 912.
- (196) الديوان، 1011.
- (197) الديوان، 818.
- (198) لسان العرب، مادة فيش.
- (199) الديوان، 329.
- (200) الديوان، 423.
- (201) قالت قريش وللجيران محرمة أين الخواريّ يا فيش البراذين
(الديوان، 558).
- (202) الديوان، 953.
- (203) الديوان، 873.

- (204) الديوان، 354.
- (205) الديوان، 952.
- (206) الديوان، 912.
- (207) أيفاشون وقد رأوا حقّاتهم قد عضّه فقضى عليه الأشجع (الديوان، 913).
- (208) لقد علمت غير الفياش مجاشع الى من نصير الخافقات اللوامع (الديوان، 924).
- (209) قالت قريش وللجيران محرمة اين الخواريّ يا فيش البراذين (الديوان، 558).
- (210) فلا تحسبنّ الحرب لما تشنعت مفايشة ان الفياش بكم مزري (الديوان، 425).
- (211) الديوان، 943.
- (212) لسان العرب، مادة خور.
- (213) الديوان، 898.
- (214) الديوان، 905.
- (215) الديوان، 943.
- (216) لسان العرب، مادة رعل.
- (217) الديوان، 906.
- (218) الديوان، 984.
- (219) الديوان، 870.
- (220) شرح العالم اللغوي محمد بن حبيب، هامش الديوان، 992.
- (221) الديوان، 992.
- (222) انظر الديوان، 159، 194، 332، 858، 859، 867، 881، 914، 946، 952، 981، 984.
- (223) مجاشع لاجياء في شيببتهم ولا يثوب لهم حلم إذا شابوا (الديوان، 194).
- (224) نسوان تغلب لا حلم ولا نسب ولا جمال ولا دين ولا خفر (الديوان، 159).
- (225) وعوف يعاف الضيم في آل مالك وكتم بني جوخمى على الضيم أصبرا (الديوان، 479).
- (226) اخزى بني وقبان عقر فتاتهم واغتر جارهم بحبل غرور (الديوان، 858).
- (227) وردم على قيس بخور مجاشع فبؤم على ساق بطيء جبورها (الديوان، 880).

- (228) أبلتكم خورا وفلك عناتكم عاري الأجاجع من بني همام (الديوان، 428).
- (229) قد تعلم النخبات أن فتاتهم وطنت كما وطىء الطريق المهييع (الديوان، 918).
- (230) عضاريط يشوون الفراسن بالضحي إذا ما السرايا حث ركضا مغيرها (الديوان، 891).
- (231) ودعت غمامة بالوقيط مجاشعا فوجدت يا وقبان غير غيور (الديوان، 859).
- (232) ودعا الزبير فما تحركت الحبي لو سمتهم جحف الخزير لثاروا (الديوان، 867).
- (233) سأذكر منكم كل منتخب القوى من الخور لا يرعى حفاظا ولا حمى (الديوان، 981).
- (234) بنو نخبات لا يفنون بدمّة ولا جارة فيهم تهاب ستورها (الديوان، 881).
- (235) الديوان، 475.
- (236) انظر مثلا الديوان، 475، 516، 558، 867، 906، 913، 946.
- (237) دعاكم حواربي الرسول فكنتم عضاريط يا خشب الخلاف المصرعا (الديوان، 906).
- (238) الديوان، 881.
- (239) بني مالك لا صدق عند مجاشع ولكن حظا من فياش على دخل (الديوان، 952).
- (240) فإنا وجدنا ابن جوخي القيون لنيسم المواطن خوارها (الديوان، 260).
- (241) لسان العرب، مادة ضطر، وانظر الديوان، 310، 475، 760، 907، 1010.
- (242) لسان العرب، مادة عضريط، 891، 906.
- (243) الديوان، 914.
- (244) الديوان، 952.
- (245) الديوان، 557.
- (246) تبعوا الضلالة ناكبين عن الهدى والتغلبى عمي الفؤاد ضلول (الديوان، 95).
- (247) الديوان، 906.
- (248) الديوان، 159.
- (249) الأصبهاني، الأغاني، 21 : 405.
- (250) الديوان، 628.

- (251) الديوان، 1000.
- (252) لسان العرب، مادة فجر.
- (253) لقد ولدت أمّ الفرسدق فاسقاً وجاءت بوزواز قصير القوائم (الديوان، 998).
- (254) لسان العرب، مادة فسق.
- (255) لسان العرب، مادة فسق.
- (256) لسان العرب، مادة فسق.
- (257) تعددت تعريفات الحمق من منظور ديني، وقد تعرّض لذلك عدد من أهل الرأي والعلم مثل علي بن أبي طالب (ابن عبد البر النمري القرطبي، بهجة المجالس، 1: 535) وأبي حازم (سنن الدارمي، 1: 155) وعمر بن الخطاب ومطرف بن الشخير ووهب بن منبه وسفيان الثوري (ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، 25 - 26).
- (258) يبلغ عدد الأبيات في هذا الغرض 4438 تقريباً، منها 180 بيتاً متعلّقاً بمثلبة الحمق.
- (259) أحصينا معاني الهجاء المتعلقة بعنصر الحمق فوجدنا عددها 276 يتعلّق 16 منها بالمعتقد دون سواه (انظر الهامش عدد 23) وبذلك تمثّل نسبة معاني الهجو الموسومة بالطابع الإسلاميّ نصف العشر من مجمل المثالب المذكورة، أو تربو على ذلك قليلاً.
- أمّا ما بقي من مضامين الهجاء فجاهل يّ أو مشترك، وقد اتّصلت تلك المضامين خاصّة بالمظهر الخارجي والتمييز الحسيّ والذوقي والإدراكي كما اتّصلت بالأخلاق على وجه العموم، ولعلّ ذلك يدلّ - في ما يدلّ فضلاً عن التواصل الملحوظ في مثل هذا المجالين - حققتي الجاهليّة وبدء الإسلام - على أنّ نمط التفكير الجاهليّ - تصوّراً كان أو إجراء - لم تنخب جذوته ولا خفّت حدته.
- (260) ابن رشيق القيروانيّ، العمدة، 2: 849.
- (261) ابن رشيق القيروانيّ، العمدة، 2: 849.
- (262) ابن رشيق القيروانيّ، العمدة، 2: 849.
- (263) ابن رشيق القيروانيّ، العمدة، 2: 849.
- (264) قال جرير يصف طبعه :
- خلقت شكساً للأعادي مُشكساً أكوي الأسريّن واقطع النسا
- (الديوان، 564).
- (265) دائرة المعارف الإسلاميّة، الطّبعة الثانية، فصل جرير، (أ. شاد، أ. كالج).
- (266) أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، 8: 58.